الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٧٩ — ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 179

Lundi - 7 - 12 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٥٥ — ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
١٩٨١	استقلال اللغة	أحمد حسن الزيات ... ...
١٩٨٣	القلب المسكين	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٨٥	تطور خطير في السياسة الدولية ...	باحث دبلوماسي كبير ... ...
١٩٨٨	التنكر	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني
١٩٩٠	أثر نظام الحكم في الأدبين العربي والانجليزي ...	الأستاذ فخري أبو السعود ...
١٩٩٤	نظرية النبوة عند الفارابي	الدكتور ابراهيم بيومي مدكور
١٩٩٦	الشفاء	الأستاذ علي الطنطاوي ... ...
١٩٩٨	الوحدة الاسلامية ...	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٩٩٩	قصة المكروب... ...	الدكتور أحمد زكي ... ...
٢٠٠٤	كلمة « قرآن » ...	محمد طه الحاجري ... ...
٢٠٠٧	هكذا قال زرادشت ...	الفيلسوف نيتشه ... ...
٢٠١٠	الربيع الناطق (قصيدة)	علي أحمد باكثير ... ...
٢٠١٠	خاطرة «	العوضي الوكيل ... ...
٢٠١١	قسوة الطفولة «	الأستاذ أمجد الطرابلسي ...
٢٠١٢	تاريخ العرب الأدبي ...	الأستاذ رينولد نيكلسون ...
٢٠١٤	بين الأدب والسياسة — فون أوسيتسكي حامل جائزة نوبل	
٢٠١٥	كتاب عن نابليون لأوكتاف أوبري . بين العلم والعاطفة .	
٢٠١٥	ديوان حافظ . واجبنا بعد المعاهدة	
٢٠١٦	وثائق الحملة الفرنسية	
٢٠١٦	نفح الطيب (كتاب)	محمد فهمي عبد اللطيف
٢٠١٩	بعوث التمثيل	ناقد الرسالة الفني ...
٢٠٢٠	فيلم جديد لاستوديو مصر	ناقد الرسالة الفني ...
٢٠٢٠	التصوير أم الاضاءة ...	ناقد الرسالة الفني ...

بعد المعاهدة

استقلال اللغـــة

استقلال اللغة مظهر استقلال الذات ؛ ووحدة اللسان جزء من معنى الأمة ، واتحاد البيان سبيل إلى توحيد الرأي والهوى والثقافة . فإذا سمعت امرأً يتكلم غير لغته من دون ضرورة ، أو يلهج غير لهجته من دون مناسبة ، فلا يخامِرْك شك في أنه كذلك في خليقته وعقيدته ونمط تفكيره وأسلوب عمله . وإذا رأيت أمة تدير في أفواهها ألسنة الأمم ، وتستعير في أعمالها دلالات الناس ، فلا تتردَّدْ في الحكم عليها بالتبعية المدنية والعبودية الأدبية والوجود الملفَّق . وإذا شق عليك أن ترى في الأرض هذه الأمة ، أو تسمع في الأمة ذلك الإنسان ، فتحامل على شعورك وجل جولة في إحدى عواصم مصر . فهنا أو هناك تجد في معارض التجارة ، ودور الصناعة ، وبيوت المال ، وأماكن اللهو ، خليطاً من الناس كجيش الدمُسْتُق (١)

تجمّع فيه كل لَسْنٍ وأمة فما يُفهم الحدَّاثَ إلا التراجم

(١) الدمستق لقب قائد جيش الروم . والبيت للمتنبي في وصف معركة (الحدث) وكانت بين سيف الدولة وبين الروم

تدخل متجرا من المتاجر، أو مصرفا من المصارف، أو مقصفا من المقاصف، أو شركة من الشركات، فلا تقرأ فى الاعلانات والمستندات إلا كتابة أجنبية، ولا تسمع فى المحادثات والمفاوضات إلا لغة أجنبية، فإذا حرصت على أن تتفاهم بالعربية لاعتزازك بها أو لجهلك بغيرها، تضاءلتَ فى رأى مخاطبك فينظر إليك بشَطر عينه، ويكلمك ببعض شفته، وربما صغرت وصغرت حتى يستسرَّ عليه مرآك فلا يحفِلك. وتغْشى قصرا من قصور الأمراء أو داراً من دور الكبراء، فتسمع النادين يتطارحون الحديث بالفرنسية أو التركية، فإذا شاركتهم فيه بلغتك، وقَرُوا آذانهم عن سماعك، لأنك نقلت الحديث الخطير إلى لغة السوقة، وأنزلت اللهو الوثير إلى مجلس العامة، وتلقى أبناء (الذوات) فى المشارب والملاعب والأندية، فتسمعهم يتراطنون بلغة مشوهة التأليف، مدخولة الوضع، بغيضة اللهجة، من نحو قولهم: (mon cher يا incroyable ودا شىء)، (je ne peux pas أطلع l'escalier) ولو وجدت فى هذا الخلط تظرفا من أولئك الأيفاع المدلّلين الذين نشّأتهم المهود الأرستقراطية، وثقَّفتهم المدارس الأجنبية، فإنك لا تجد فيه غير حمّى الروح إذا تكلفه من درج فى البيئات الشعبية، وخرج من المعاهد الدينية. فقد حدثوا أن شيخاً من شيوخ اللغة ومعلميها أوفدته وزارة المعارف إلى انجلترا ليلم بطرائق التعليم ومذاهب التربية؛ فمكث تحت ضباب لندن عاما أو عامين ثم عاد، فإذا لسانه قد اعوج وسَمْتُه قد تبدل! يكلمك فتسمع من وراء (البيبة) كلاما عربى الحروف سكسونى المخارج! فاذا تمضمض بالجملة أو الجملتين فى المعنى المألوف توقف وتأفف، ثم راح يزاوج فى الفقرة الواحدة بين العربية والانجليزية، لأن العربية أصبحت أمام الخاطر الدفاق، والخيال السباق، والمعانى الجديدة، أعجز من أن تسعف اللسان وتجارى البيان وتحدد الفكرة!

كل ذلك كنا نراه فنشعر بالغربة وسط الدار، وبالذلة بين الأهل، وبالتبعية تحت العلم. وكل ذلك كنا نسمعه فنحمل الآذان على مكروهه، ونروض الأنفس على أذاه، لأن أمورنا كانت فى كل ناحية من نواحى الحياة شذوذا لا يستقيم فى عقل، ونشوزا لا يتسق فى شعور. فلما أذن الله لوجودنا أن يتميز، ولاستقلالنا أن يتم، كان من المحتوم على أولياء العهد الجديد أن يعالجوا الضعف الذى يوهن وثبات العزة، ويزيلوا النقص الذى يعوق خطوات الكمال

* * *

تريد اللغة العربية من أولياء العهد الجديد أن يطردوا الاحتلال اللغوى من الشركات والبنوك كما طردته تركيا، فيمدوا لها أسباب السيادة، ويهيئوا للعاطلين وسائل العمل، ويضمنوا للأهلين صحة التعامل، ويمصروا هذه البيوت التى تطاول الحكومة فى النفوذ، وتجابه الأمة بالعجز، ويشتمل كل منها على دولة وسفارة وامتياز. تريد العربية أن تكون لسان العلم فى المدارس الأجنبية، وفى كليات الجامعة المصرية، فإن التعليم باللغة الأوربية ينقل بعض الأفراد إلى العلم، ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العلم إلى الأمة. وما دام للغة مجمع لغوى قوى يساعدها على النمو، فلن يُخشى عليها فى الطريق قصور ولا فشل

تريد العربية أن تأخذ مكانها الشرعى فى المحاكم المختلطة ريثما تدك قواعدَها المعاهدة. فإن من أعجب الأمور أن يضيع القانون بين قوم يعيشون بالقانون، ويزهق العدل فى دار أقيمت للعدل. وقد كان الأغضاء على ذلك يحمَل على مصانعة القوة ومخادعة السياسة، ولكنه اليوم لا يُحمَل إلا على تفريط العجز وترويض الاستكانة

كذلك تريد العربية أن تطهر من شوائب التركية فى الدواوين والقوانين والمدارس والجيش، فلا تحب أن يداخلها بعد اليوم باشكاتب ونوبتجى وبوستجى وقلفة وطابور ويمكخانة ويوزباشى وصاغ وأميرالاى الخ. ولنا فيما يعمل الترك والفرس بالعربية مَثلٌ ماثل ودافع محرض

ذلك ما تريده اللغة من الحكومة. أما ما تريده من الأمة فذلك شىء تلهمه العزة وتمليه الكرامة؛ فإن لغة المرء تاريخه وذاته؛ فالغض منها غض منه، والتفضيل عليها تفضيل عليه، ولا يرضى لنفسه الضعة والصَّغار إلا مَهين أو عاجز

احمد حسن الزيات

٥ – القلب المسكين (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحب القلب المسكين فتزعزعت كبده مما رأى؛ وجعل ينظر الى هــذه الفتَّـانة تمثِّل زفاف العروس وقد أشرق فيها رونقها وسطعتْ ولمعتْ فبدتْ له مُفسرةً فى هــذه الغلائل غلائلُ العُـرْس؛ وما غلائل العرس؟

إنها تلك الثيابُ التى تـكسو لابستها إلى ساعة فقط . . . ثياب أجمل ما فيها أنها تقدم الجمال إلى الحب، فأزهى ألوانها اللون المشرقُ من روح لابستها، وأسطعُ الأنوار عليها النورُ المنبعث من فرح قلبين

تلك الثيابُ التى تـكون سكباً من خالص الحرير ورفيع الخزّ، وحين تلبسها مثلُ هذه الفاتنة تـكاد تنطق أنها ليست من الحرير، إذ تعلم أن الحرير ما تحتها . . .

ثم تنهد المسكين وقال : أفهمت ؟

قلت : فهمتُ ماذا ؟

قال : هذا هو انتقامُـها

قلت : يا عجبا! أتريدها فى ثياب راهبــة ؛ مُكَـبْكَـبة فيها كما أُلقيت البضاعة فى غرارة، بين سوادٍ هو شعارُ الحداد على الأنوثة الهالـكة، وبياض هو شعار الـكفن لهذه الأنوثة ؟

قال : أنت لا تعرفها؛ إن الرواية التى تُمثَّـل فيها بين الروح والجسم، هى التى احتاجت إلى هذا الفصل يقوَى به المعنى ؛ وكل عاشقة فمشقُـها هو الرواية التى تمثّـل فيها، يؤلفها هــذا المؤلفُ الذى اسمه الحب ؛ ولا تدرى هى ماذا يصنع وماذا يؤلف، غير أنه لا يفتأ يؤلف ويضع وينقّـح كما تتنزّل به الحالُ بعد الحال، وكما تعرض به المصادفة بعــد المصادفة ؛ وعليها هى أن تمثل . . .

قلت : فهذا ؛ ولـكن كيف يكون هذا انتقاما ؟

قال : إن الأفكار أشـياء حقيقية، ولو كُشف لكَ الجوُّ هذه الساعة لرأيته مسطوراً عباراتٍ عبارات كأنه مقالة جريدة .

هذا الفصل حوارٌ طويل فى الهمومَ والآلام ورقة الشوق وتهالك الصَّبوة ؛ لو كُتب له عنوان لـكان عنوانه هكذا : ما أشهاها وما أحظاها! إن الهواء بين كل عاشقين متقابلين يأخذ ويعطى . . .

قلت : يا عدو نفسه ما أعجبَ ما تُـدقِّـق . لقد أدركتُ الآن أن المرأة تتسلَّـح بما شاءت لا من أجل أن تدافع، ولـكن لتزيد أسلحتها فى سلاح من تحبه فتزيده قوةً على قهرها وإخضاعها . . .

* * *

أما هذه (العروس) فكانت أفكارها لا تجد ألفاظا تحدُّها فهى تظهر كيفما اتفق، مرسَلةً إرسالاً فى اللَّـفتة والحركة والهيئة والقَـومة والقَـعدة، وهى من علمتَ : امرأةٌ تعيش للحقائق، وبين الحقائق، كـكل ذى صنعة فى صنعته ، فـكانت فى تماديها خطراً أىَّ خطر على صاحب القلب المسكين، تمثل شيئاً لا أدرى أهو ظاهر بخفائه أم هو خافٍ بظهوره ؛ وقد وقع صاحبنا منها فيما لم يدخل فى حسابه، فـكانت الخبيثة المـاجنة كأنها تسكره بسكر حقيقى غير أنه من جسمها لا من زجاجة خمر .

وكانت لذهنه المتخيِّـل كالسحابة الممتلئة بالبرق ؛ تومِـضُ كلَّ لحظة بأنوار بعد أنوار، وبين الفترة والفترة ترمى الصاعقة . . .

وظهرت كأنها امرأة مخلوقة من دم ولهب ؛ فلقد أيقنتُ حينئذ أن الحب إن هو إلا الغريزةُ البهيميةُ بعينهـا محاولةً أن تـكون شيئاً له وجود فنى إلى وجوده الطبيعى، فهو مصيبتان فى واحدة، وكل عمله أن يجعل اللذةَ ألذَّ، والألم أشـدَّ، والقلةَ كثرة، والـكثرة أكثر، وما هو نهاية كأنه لا نهاية

هذه (العروس) كانت قبل الآن واقفة على حدود صاحبها، أما الآن فأنها تقتحم الحدودَ وتغزوغزوها وتمتلك

يا لَسحر الحب من سِحر! كل ما فى الطبيعة من جمال تظهره الطبيعةُ لعاشقها فى إحدى صور الفهم . أما الحبيب الجميل فهو وحده الذى يظهر لعاشقه فى كل صور الفهم، وبهــذا يكون الوقت معه أوقاتاً مختلفة متناقضة، فى ساعة يكون العقل، وفى ساعة يكون الجنون

(١) نرجح أن يكون القراء قد أدركوا الغرض من كتابة هذه المقالات على هذا السرد الذى وصفته لنا إحدى الأديبات بأن « فيه أشياء مادية » . فنحن نرمى إلى تصوير الغريزة ثائرة مهتاجة بكل أسباب الثورة والاهتياج ولـكنها مكفوحة بأسباب أخرى من الدين والشرف والمروءة وفلسفة العقل

يا لسحر الحب ! لقد أرادت هذه المرأة أن تذهب بعقل صاحبها ، وأن تنقله إلى وحشية الانسان الأول الكامن فيه ، وأن تقذف به إلى بعيدٍ بعيدٍ وراء فضائله وعصمته ؛ فسَنَحتْ له كما يسنح الصيد للصائد يحمل فى جسمه لحمه الشهى... وتركت شعوره جائماً إلى محاسنها بمثل جوع المعدة... وبرزت له صريحةً كما هى ، ولما هى ، ومن حيث أنها هى هى ؛ وكل ذلك حين ألبست جسمها ثياب الحقيقة المؤنثة

آه من (هى) إذا امتلأت الهاء والياء من قلب رجل يحب ! وآه من (هى) إذا خرجت هذه الكلمة من لغة الناس إلى لغة رجل واحد !

إن فى كل امرأة ... امرأة يقال لها (هى) باعتبار الضمير للتأنيث فقط كما يعتبر فى الدابة والحشرة والأداة ونحوها من هذه المؤنثات التى يرجع عليها هذا الضمير ؛ ولكن (هى) المفردة فى الكون كله لا توجد فى النساء إلا حين يوجد لها (هو) ... ...

* * *

أنا أنا الذى يقص للقراء هذه القصة ، قد كابدت من شدة الحب وإفراط الوجد ما يملأ قلبين مسكينين لا قلباً واحدا ؛ وكانت لى (هى) من الهيّات عانيت فيها الحبَّ والألم دهراً طويلاً ؛ وقد ذهبتْ بى فى هواها كل مذهب إلا مذهباً يحلُّ حراماً ، أو مذهباً يُخلُّ بمروءة ؛ ولقد علمت أن الشىء السامى فى الحب هو ألا يخرج من العاشق مجرم

فالشأن كل الشأن أن يستطيع الرجلُ الفصلَ بين الحب من أجل جمال الأنثى يظهر عليها ، وبين الحب من أجل الأنثى تظهر فى جمالها . فهو فى الأولى يشهد الالاهيةَ فى إبداعها السامى الجميل . وفى الأخرى لا يرى غير البشرية فى حيوانيتها المتجملة ...

وقد أدركت من فلسفة الحب أن الحقيقة الكبرى لهذا الجمال الأزلى الذى يملأ العالم — قد جعلت حنين العشق فى قلب الانسان هو أول أمثلتها العملية فى تعليمه الحنين اليها إن شاء أن يتعلم . فكما يحب انسانٌ بروح الشهوة يحب انسان آخر بروح العبادة ؛ وهذا هو الذى يسميه الفلاسفة (تلطيف العسر) أى جعله مستعدا للتوجه الى النور والحق والخير ، وقد عدّوا فيما يعين عليه الفكر الدقيق والعشق العفيف

وكذلك تبينتُ مما علّمنى الحب أن طرد آدم وحواء من الفردوس ، كان معناه ثقلَ معانى الفردوس وعرَضها لكل آدم وحواء يمثلان الرواية . . فأذا « قطفا الثمرة » طُردا من معانى الجنة طرداً كهوَ من الجنة [1] ، وهبطا بعد ذلك من أخيلة السماء الى حقائق الأرض

نعم هو الحب شىء واحد فى كل عاشق لكل جميل ، غير أن الفرق بين أهله يكون فى جمال العمل أو قبح العمل . وهذه النفوس مصانع مختلفة لهذه المادة الواحدة ؛ فالحب فى بعضها يكون قوة وفى بعضها يكون ضعفا ؛ وفى نفس يكون الهوى حيوانياً يُراكم الظلمة على الظلمة فى الحياة ، وفى أخرى يكون روحانياً يكشف الظلام عن الحياة

والمعجزة فى هذا الانسان الضعيف أن له مع طبيعة كل شىء طبيعةَ الاحساس به ، فهو مستطيعٌ أن يجد لذةَ نفسه فى الألم ، قادر على أن يأخذ هبة من معانى الحرمان . وبهذه الطبيعة يسمو من يسمو ، وهى على أتمها وأقواها فى عظماء النفوس حتى لكأن الأشياء تأتى هؤلاء العظماء سائلةً : ماذا يريدون منها ؟

فمن أراد أن يسمو بالحب فليضمّه فى نفسه بين شيئين : الخلق الرفيع والحكمة الناضجة ، فأن لم يستطع فلا أقل من شيئين الحلال والحرام [2]

* * *

أنا أنا الذى يقص للقراء هذه القصة ، أعرف هذا كله ، وبهذا كله فهمت قول صاحب القلب المسكين : إن ظهور صاحبته فى فصل العروس هو انتقامها ، حاصرت عيناها عينيه ، وزحفت معانيها على معانيه ، وقاتلت قتال جسم المرأة المحبوبة فى معركة حبها ، وبكلمة واحدة : كأنما لبست هذه الثياب لتظهر له بلا ثياب ...

وأردت أن أعيبها بما صنعت نفسها له ، وأن أعيبه هو بدخوله فيما لا يشبهه ، وقلت فى غير طائل ولا جدوى ، فما كنت إلا كالذى يعيب الورد بقوله : يا عطر الشذى ويا أحمر الخدين

(١) أى طردا كالطرد من الجنة

(٢) بسطنا هذا المعنى فى المقالة الثانية من هذه المقالات على وجه آخر

وقد أمسك عن جوابى وكانت محاسنها تجعل كلماتى شوهاء ، وكان وضوحها يجعل معانى غامضة ، وكانت حلاوتها تجعل أقوالى مرة ، وكانت ثياب العروس وهى تزف تريه ألفاظى فى ثياب العجوز المطلقة . وكلما غاضبته مع نفسه أوقعت هى الصلح بينه وبين نفسه

والعجيبُ المجيبُ فى هـذا الحب أن فتح العينين على الجميل المحبوب هو نوع من تغميضهما للنوم ورؤيا الأحلام ؛ ليس إلا هذا ولا يكون أبداً إلا هذا . فمهما أعطيتَ من جدل فأقناعك المحب المستهام كأقناعك النائم المستثقَل [١] ؛ وكيف وله ألفاظ من عقله لا من عقلك ، وبينك وبينه نسيانه إياك ، وقد تركك على ظاهر الدنيا وغاص هو فى دنيا باطنه لا يملك فيها أخذاً ولا رداً إلا ما تعطى وما تمنع

***

ثم . . ثم غابت (العروس) بعد أن نظرت له وضحكت

ضحكت بحزنٍ حُزنَ [٢] الذى يسخر من حقيقة لأنه يتألم ن حقيقة غيرها . . وكان منظرها الجميل المنكسر فلسفة تامة مصبورة ، للخير الذى اعتدى عليه الشر فأحاله ؛ والأرادة التى أكرهها القدر فأخضعها ؛ والعفة المسكينة التى أذلتها ضرورة الحياة ؛ والفضيلة المغلوبة التى حيل بينها وبين أن تكون فضيلة

وياما كان أجملها ناظرة بمعانى البكاء ضاحكة بغير معانى الضحك ؛ تتنهد ملامح وجهها وفمها يبتسم

كان منظرها ناطقاً بأن قلبها الحزين يسأل سؤالاً أبداه على وجهها بلطف ورقة ؛ كان يسأل إنساناً : ألا تحل هـذه العقدة ... ؟

وانقضى التمثيل وتناهض الناس

أما صاحب القلب المسكين ؟

(يتبع) طنطا مصطفى صادق الرافعى

إلى ا . ج . بدمشق : يابنى قل لذلك الذى يسمى نفسه فقيها : إن كتب الفقه لو قالت لله انخدع لحيلة الفقهاء فى تحليل ما حرمت ، لكانت كتب الكفر لا كتب الفقه ...

وسنكتب يوماً إن شاء الله مقالة (العمائم) فان الاسلام مبتلى بهؤلاء الذين يأكلون فى بطونهم فقها ... الرافعى

(١) بفتح القاف أى الذى أثقله النوم

(٢) حزن الثانية فى هذا التركيب منصوبة على أنها مفعول مطلق

تطور خطير في السياسة الدولية

هل تقترب نذر الحرب

بقلم باحث دبلوماسى كبير

تتابعت الحوادث الدولية فى الأسبوعين الأخيرين بسرعة ، وبدت فى الأفق أزمات واحتمالات مزعجة يرى فيها المتشائمون نذر الحرب تجتمع وتهيىء الأسباب للاصطدام الخطر ؛ ففى أسبانيا تتطور الحوادث تطوراً واضحاً ، إذ يقف هجوم الثوار على مدريد ، بعد أن كادت تسقط فى أيديهم ، وترجح قوات الجمهوريين التى تؤيدها نجدات سوفيتية قوية ؛ وتسارع إيطاليا وألمانيا إلى الاعتراف بحكومة برجوس (حكومة الثوار) لكى تشد أزر الجنرال فرانكو زعيم الثورة من الوجهة المعنوية ، ولكى تسبغ على حكومته صفة الدولة المحاربة فيسهل عليه تلقى النجدات الخارجية بصورة أوسع ؛ وقد ظهر أثر هـذا التأييد واضحاً فى تصرفات الجنرال فرانكو الأخيرة ؛ فقد أعلن أنه سيفرض الحصار البحرى على شواطىء اسبانيا الشرقية والشمالية ، وأنه سيغلق ثغور اسبانيا التى بأيدى الجمهوريين أعنى برشلونه وبلنسية واليقنت ومالقة ، وأن سفنه ستطلق النار على أية سفينة أجنبية تدخل هـذه المياه ؛ ووجه الجنرال فرانكو أيضاً إلى فرنسا إنذاراً بطلب الذهب الاسبانى الذى سحبه الجمهوريون من بنك اسبانيا ، وأودعوه فى باريس ؛ ومع أن الجنرال فرانكو لا يملك من الوحدات البحرية سوى عدة طرادات صغيرة لا تستطيع أن تضطلع بمثل هذا الحصار الضخم ، فان المفهوم أنه سيعول فى تنفيذ وعيده على يد الغواصات الايطالية والألمانية ؛ وقد ظهر أثر هـذه المعاونة البحرية سريعاً فى إصابة الطراد الجمهورى « سيرفانتيس » من مقذوف بحرى أطلقته عليه غواصة أجنبية ؛ على أن الجنرال فرانكو لم يلبث إزاء موقف إنكلترا وتشددها فى عدم اعتبار صفة شرعيـة لحكومة الثوار ، ومطالبتها بألا يتعدى الحصار المياه القومية ، أعنى مدى الثلاثة أميال المقررة فى القانون الدولى ، وأن تعين منطقة محايدة لرسو السفن الأجنبية ، أن اضطر إلى تعديل موقفه والتسليم بهذه المطالب التى أيدتها

إنكلترا باجراء بعض المناورات البحرية الضخمة فى المياه الاسبانية

وظاهر من هذه الخطوة التى اتخذها الجنرال فرانكو ، بتحريض الدول الفاشستية أعنى إيطاليا وألمانيا وتأييدها المعنوى والمادى ، أنه يقصد وقف المساعدات القوية التى تتلقاها الحكومة الجمهورية من روسيا السوفيتية عن طريق برشلونه وبلنسية ، ومطاردة السفن الروسية التى ترد بلا انقطاع إلى هذه المياه مشحونة بالذخائر والمؤن ، وهى معاونة كان لها أكبر الأثر فى إحباط هجوم الثوار على مدريد ، وفشل خطط الجنرال فرانكو فشلاً قد يؤدى إلى انهيار الثورة بصورة نهائية ؛ وظاهر أيضاً أن فشل الجنرال فرانكو إنما هو فشل لألمانيا وإيطاليا اللتان تؤيدانه منذ البداية وتمدانه بكل أنواع المعاونة فى البر والبحر والهواء ؛ ولهذا بادرت الدولتان الفاشستيان إلى الاعتراف بحكومة برجوس ستراً لهذا الفشل ، وإلى دفع الجنرال فرانكو إلى إعلان الحصر البحرى وتأييده بارسال الغواصات إلى المياه الاسبانية لمحاولة اعتراض السفن الروسية أو الأجنبية الأخرى التى تحمل الذخائر والمؤن للحكومة الجمهورية

بيد أنه يشك كثيراً فى أن يكون لهذا الاجراء أثره المنشود ، ذلك لأن روسيا السوفيتية أبدت أنها لن تعبأ به ، وأنها ستقاوم العنف بالعنف إذا اعتدى على سفنها ، وما زالت السفن الروسية ترد إلى برشلونة وبلنسية تحرسها وحدات بحرية روسية ؛ وهذا مما يجعل الموقف فى هذه المياه فى منتهى الدقة والخطورة خصوصاً بعد أن ثبت وجود بعض القوات الايطالية فى جزيرة ميورقة تجاه بلنسية ، ووجود بعض الطرادات والغواصات الايطالية فى مياهها ، هذا فضلاً عن أن انكلترا تهتم بالحالة فى تلك المياه اهتماماً شديداً وتجوسها بعض وحدات أسطولها ، وكذلك فرنسا ، فأن وقوع هذه المياه على مقربة من شواطئها ، ثم فى طريق الجزائر يحملها على أن تشاطر انكلترا اهتمامها ، وأن ترقب الحالة مع الاستعداد لكل طارئ

وهكذا نرى هذه المعركة التى تضطرم فى الظاهر فى أسبانيا بين الجمهورية وخصومها تبدو فى صورتها الحقيقية صراعاً بين الفاشستية والديموقراطية حسبما بينا من قبل غير مرة ؛ وهى تبدو اليوم فى هذه الصورة واضحة تؤيدها الأدلة المادية الظاهرة ، فمن وراء الجنرال فرانكو تعمل إيطاليا وألمانيا والبرتغال بصورة منظمة مستمرة ؛ وتعمل روسيا السوفيتية لمعاونة حكومة مدريد الجمهورية بكل ما وسعت ، وتؤيدها فرنسا وانكلترا بصورة مستترة ؛ وقد شرحنا من قبل ما ترتبه الدول الفاشستية من المطامع والأمانى على إضرام نار الحرب الأهلية فى أسبانيا بهذه الصورة ، والسعى بواسطة الجنرال فرانكو إلى إقامة حكومة فاشستية فى أسبانيا تعضد نفوذ إيطاليا وألمانيا فى غرب البحر الأبيض المتوسط ، وتحقق لهما بعض المغانم الاستعمارية فى جزر البليار والكنارى ، وربما فى مراكش الاسبانية ؛ وبينا أيضاً ما يحمل الدول الديموقراطية أعنى انكلترا وفرنسا على مقاومة هذه المحاولة وإحباطها ؛ وإذا كانت الدولتان الديموقراطيتان لا تعملان لمعاونة أسبانيا بصورة ظاهرة ، فأنهما تعتمدان فى هذه المعاونة على روسيا ، وتؤيدان مساعيها فى هذا السبيل ؛ وهناك بالأخص نقطة تلفت النظر ؛ وهى أن الأسطول الروسى الذى يحمل المؤن والذخيرة إلى حكومة مدريد يسير بعيداً عن قواعده لنجدة الجمهوريين ، ويغامر بالظهور فى مياه أجنبية ، وقد يتعرض لاعتداء الغواصات الألمانية والايطالية ؛ ولكن لا ريب فى أن روسيا لا تقدم على مثل هذه المغامرة إلا وهى معتمدة على تفاهمها مع انكلترا ، وعلى حماية الأسطول الانكليزى وإمكان استخدام المياه الفرنسية لحماية سفنها وقت الخطر

وقد لاح مدى لحظة أن قوات الجنرال فرانكو تكاد تكتسح كل شىء فى طريقها وتستولى على مدريد بأيسر أمر ؛ ولكن الحوادث تطورت بسرعة وتحطم هجوم الثوار على مدريد ، وبدا التفوق فى جانب الجمهوريين واضحا ، وربما كان هذا الفشل مقدمة انهيار الثورة الاسبانية ، والخطط الفاشستية التى تؤيدها

***

على أن هناك غير حوادث أسبانيا عدة تطورات وحوادث دولية خطيرة أخرى زادت فى حرج الموقف ودقته . ذلك أن السياسة الفاشستية نشطت أخيراً إلى مضاعفة جهودها فى سبيل تقوية جبهتها ضد أوربا الغربية بوجه عام ، وروسيا السوفيتية بوجه خاص ؛ فبعد أن عقدت ألمانيا وإيطاليا تحالفهما المعروف ضد « البلشفية » ، وبعد أن اتفقتا على تقسيم أوربا الوسطى إلى منطقتى نفوذ سياسى واقتصادى ، تتعاونان فى استغلالها وتوجيهها مع اختصاص ألمانيا بالعمل فى تشيكوسلوفاكيا ، واختصاص إيطاليا بالعمل فى المجر ، واشترا كهما معاً فى العمل فى النمسا ، فاجأت ألمانيا العالم بعقدها تحالفا مع اليابان اتخذت

مكافحة البلشفية والثورة العالمية التى تعمل روسيا لاضرامها ستاراً له ، وهذه الحجة الظاهرة ، أعنى مكافحة البلشفية هو الشعار الذى تستتر به ألمانيا فى سياستها الحالية وتقرنه بالتهويل فى وصف الخطر البلشفى ووجوب اتحاد أمم العالم على مقاومته وإنقاذ المدنية من شره ؛ بيد أنه يظن أن الاتفاق الألمانى اليابانى ، رغم ما نشر من نصوصه ، يبطن تحالفاً عسكرياً سرياً ، ويقصد إلى غايات خطيرة أخرى تتلخص فى تعاون اليابان وألمانيا على مقاومة روسيا وتهديدها فى الشرق الأقصى ، وفى أوربا ؛ وتدعيم الخطط الاستعمارية اليابانية فى الصين والشرق الأقصى ، نظير تدعيم الخطط الألمانية العسكرية والاستعمارية فى شرق أوربا وفى غربها إذا اقتضى الأمر ؛ وبعبارة أخرى يمكن اعتبار التحالف الألمانى اليابانى رداً على التحالف الفرنسى الروسى الذى اعتبرته ألمانيا موجها ضدها

وقد كان لعقد هذا التحالف الألمانى اليابانى وقع شديد فى أوربا وأمريكا معاً ؛ ومع ما قدمته ألمانيا واليابان من الايضاحات لتخفيف وقع التحالف ، فأن الغاية من عقده لم تخف على أحد ؛ ولم تقتنع الدول الكبرى بصحة الزعم الذى اتخذ ستاراً لعقده ، وهو التعاون على مكافحة البلشفية ، لأن البلشفية نظام داخلى يخص روسيا وحدها ، وفى وسع الدول التى تخشى من تسربه إليها أن تقاومه داخل أرضها بوسائلها الخاصة ؛ ولدى ألمانيا واليابان أشد الوسائل الداخلية لمكافحة البلشفية وغيرها من الأنظمة غير المرغوب فيها ؛ وترى انكلترا وفرنسا وأمريكا فى عقد هذا التحالف خطراً على مصالحها فى الشرق الأقصى ، لأنه يعاون اليابان فى تنفيذ خططها لاستعمار الصين الجنوبية ، ويقوى مركزها فى المحيط الهادى على حساب أمريكا وانكلترا ، وقد كانت هذه الدول ترى فى التوازن اليابانى الروسى فى الشرق الأقصى نوعا من الضمان لمصالحها ، فاذا قضى على هذا التوازن ، واستطاعت اليابان أن تطلق يدها فى شؤون الشرق الأقصى اعتمادا على انشغال روسيا بحماية حدودها الغربية من مطامع ألمانيا ، أصبح التفوق اليابانى خطرا على مصالح الدول الغربيـــة وسيادة أمريكا فى المحيط الهادى

والظاهر أن ألمانيا تحاول أن تحشد فى هذه الجبهة الجديدة كل الدول التى تميل الى التعاون معها وفى مقدمتها ايطاليا ، وهى تعمل لذلك الغرض بنشاط مضاعف ؛ ومن المشكوك فيه أن تستطيع ألمانيا أن تحشد فى تلك الجبهة الشرقية دولا أخرى ، وإن كانت إيطاليا تميل الى تأييـدها من الوجهة المعنوية ، لأن ايطاليا مع صفتها الفاشستية العميقة لا تذهب فى خصومة روسيا الى الحد الذى تذهب اليه ألمانيا ، والواقع أنه إذا كانت ألمانيا قد استطاعت بتحالفها مع اليابان أن تقوى مركزها ضد روسيا السوفيتية فأنها قد أثارت بعقده فى نفس الوقت شكوكا ومخاوف جديدة ، ففرنسا وروسيا تريان فيه خطرا جديدا عليهما يجب أن يقابل بمضاعفة الجهود فى التسلح والاستعداد ، وانكلترا وأمريكا تتوجسان شرا من تطور الأحوال فى الشرق الأقصى تطوراً قد يضطرها الى العمل لصون مصالحهما ؛ فهذه الظروف مع ازدياد الشك فى نيات ألمانيا ومطامعها العسكرية والاستعمارية يثير حول سياستها ريباً ما كان أغناها عن إثارتها ، ويجعل مزايا التحالف الجديد ضئيلة بالقياس الى ما أحدثه من رد فعل عميق

هذا ، ومن جهة أخرى فأنه مهما كانت مزايا هذا التحالف من الوجهة العسكرية ، فان الدول التى تقصدها ألمانيا بعقده ، وهى فرنسا وروسيا ، هما الآن أعظم الدول استعدادا من الوجهة العسكرية ، وكلتاهما تتمتع بتنظيمات دفاعية وموارد عسكرية هائلة ، ومهما قيل فى استعداد ألمانيا الحربى من الوجهة الفنية ، فانها فقيرة فى المال والمواد الأولية ؛ وفرنسا تعنى بمضاعفة جهودها فى التسلح والدفاع ولا سيما فى الأشهر الأخيرة التى ظهرت فيها ألمانيا بمظهر الوعيد والتحدى ؛ وكذا روسيا فانها مذ أدركت خطر السياسة النازية العسكرية على حدودها الغربية ، انضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت ميثاق التحالف مع فرنسا ؛ وفرنسا لا يمكن أن تترك روسيا وحيدة إذا هاجمتها ألمانيا ، لأن بقاء روسـيا قوية سليمة مما يهم فرنسا كضمان لسلامتها ؛ وعلى ذلك ، فاذا اندفعت ألمانيا فى سياستها العسكرية الخطرة ، وعملت على إثارة الحرب فى شرق أوربا بصورة من الصور ، فلا ريب أن الحرب ستقع أيضاً فى غرب أوربا ، وعندئذ تقع حرب عالمية أخرى

والخلاصة أن الأفق الدولى مثقل بالسحب ؛ ومما يلفت النظر فى ذلك كله أن الفاشستية تلعب فى إثارة هـذه الأزمة الدولية الدقيقة أكبر دور ، ولا تحجم عن تغذية الاتجاهات والشهوات العسكرية الخطرة بكل ما وسعت ؛ وقد شرحنا فى

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

مقال سابق ما تنطوى عليه سياسة الدول الفاشستية ، أعنى ألمانيا وإيطاليا ، من المغامرة وقصر النظر ، وبينا أن الخطر على سلام أوربا وسلام العالم يرجع قبل كل شئ إلى هذه السياسة الخطرة . بيد أنه مما يبعث إلى نوع من الطمأنينة أن تكون الدول الغربية ، أعنى فرنسا وبريطانيا العظمى قد فطنتا إلى الخطر فى الوقت المناسب ، واستطاعتا أن تصلا فى تحقيق التسليح والتنظيمات الدفاعية إلى حدود بعيدة ؛ فاذا أضفنا إلى ذلك أن كفة روسيا إنما هى دائماً مع الدول الغربية ، فأن مما يشك فيه أن تذهب الفاشستية الصاخبة إلى المغامرة بأثارة حرب تلتى فيها مثل هذه القوى الساحقة ؛ وإذا كان ثمة سحب وأزمات خطيرة تكدر أفق السياسة الدولية ، فلسنا مع ذلك نذهب مع المتشائمين إلى حد الاعتقاد بأنها نذر الحرب ، وأن الحرب قد غدت على وشك الاضطرام

(***)

التنكر

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

قلت مرة لنفسى : « لماذا لا أخرج للناس متنكراً كما كان يفعل الولاة والسلاطين والخلفاء وفيما تحدثنا الروايات أو الخرافات ؟ »

وليست لى رعية أتفقدها ، ولا لى شعب أتعهد مرافقه ومراشده ، ولكن هذا الخاطر استبد بى مع ذلك فلم يسعنى إلا أن أجرى معه إلى حيث يومىء ؛ والتنكر فن ، واتقانه لا يتسنى إلا بالتدرب ، ولكن قلت إن الله ركب لى فى وجهى عينين أنظر بهما ، وعندى مرآة تستطيع أن تريني هل وفقت أو أخفقت ، وفى وسعى أن أعيد التجربة مرة وأخرى فلا أبرز للناس إلا وأنا مطمئن القلب

وقد كان . اشتريت لحية كثة طويلة — شبراً وبعض شبر إذا أردت الدقة — وشاربين وحاجبين ، ومسحوقاً أبيض أنفضه على شعر رأسى ، وشرعت أجرب — أعنى ألصق هذه الأشياء بوجهى ، وعينى على المرآة ، وكنت أوصد الباب علىّ ، وأنا أفعل ذلك ، لأضمن الوحدة ، ولأنى اعتزمت أن أجعل التجربة الأولى فى بيتى . فلما وثقت أنى قد أحكمت التنكر ، وأنى أستطيع أن أقوم وأقعد وأمشى ، وأحرك رأسى ، وألمس لحيتى ، وأفتح فمى ، وأرفع حاجبى على هيئة المستغرب ، وأضحك ، وآكل وأشرب من غير أن تسقط اللحية أو ينحرف أحد الحاجبين عن قوسه ، أو يتدلى شارب ، على حين يبقى الآخر مفتولاً — خرجت على أهلى ، وعلى وجهى هذه الأشياء ، وفى يدى عصا غليظة أتوكأ عليها وقد تقوست قناتى من الهرم ، فلم تكد تقع على العيون فى مدخل الباب حتى صرخت أمى وجدتى وأسرعتا فسترتا وجهيهما عن هذا الشيخ الغريب ؛ وكان أخى الصغير معهما فوثب إلى قدميه وصاح بى يسألنى أنا من ؟ ويأمرنى أن أخرج ، ويبنعتنى بقلة الحياء وسوء الأدب ويهددنى بالشرطة ، وأنا أقول له بصوت يرعش من الكبر وما يجره من الضعف « حلمك ، حلمك يا بنى ! » فيأبى أن يكون حليما ، ولا يعبأ بشيخوختى ، ولا يترفق بوهنى البادى ، ويدفعنى عن الباب فأكاد أسقط على الأرض ؛ فأنه صبى قوى ، وأنا شيخ هِمٌّ أقوم على العصا ، فلم تبق لى حيلة إلا الخروج من البيت كما أمر ...

خرجت مطمئناً واثقاً ؛ وإذا كان أخى — ابن أمى وأبى — لم يعرفنى فكيف يعرفنى الاخوان والخلان ؟ ومن ذا الذى يمكن أن يفطن إلى أن هذه الغابة التى زرعتها حول وجهى وسترت بها شبابى جليبة ؟ وكان انخداع أخى — لا أمى ولا جدتى — هو الذى أراح بالى ، ونفى عنى الخوف ؛ لأن فزعهما واستحياءهما منعا أن ينظرا ويحدقا ؛ أما أخى فأمره مختلف جدا ، وقد كان يمسك بكتفى ويهزنى ويدفعنى ويحدق فى وجهى متعجباً لجرأتى ، منكراً لتطفلى . ومع ذلك لم يعرفنى !

ومضيت إلى شارع الدواوين ، وكنا — اخوانى وأنا — نختلف إلى « قهوة » فيه ، ونقضى هناك بعض الوقت ، نشرب « الخشاف » ونتبارى فى لعب « الطاولة » ونصغى إلى الفونغراف وننظر إلى الرائحين والغادين ، فلقيت فى بعض الطريق أحد هؤلاء الاخوان ، فوضعت يدى على كتفه وابتسمت له وقلت :

« هل تستطيع يا بنى أن تدلنى على لاظ اوغلى » فقال : « يظهر أنك لست من أهل الحى ؟ ! هذا هو أمامك مسافة مائة متر لا أكثر »

قلت : « آه ! لعن الله الشيخوخة ! وقاتل الله الضعف !

مائتا متر ! يا سلام ! أقول لك ... ربنا المعين . نعم ربنا المعين »

وهممت بأن أنصرف عنه ، فقال : « هل تسمح بأن أتناول ذراعك وأساعدك على السير قليلاً ؟ »

فدعوت له بخير ، وبشرته ، وأكدت له أن الله سيجزيه أحسن الجزاء ، وتركت له ذراعي ، وسرنا معاً بعض الطريق ، وأنا أدب بالعصا وأقول من الضعف « إه ! إه » كما يفعل الشيوخ الذين انقطعت أنفاسهم ؛ فقد كانت اللحية التي لففت فيها وجهي عظيمة جدا وبيضاء كالقطن . وبلغنا « القهوة » المألوفة فهمست في أذنه بصوت خافت : « أقول لك يا بني ؟ سأستريح هنا قليلا . . . نعم فأن العجلة من الشيطان ، ولا خير في أن يحمل المرء على نفسه ويكلفها فوق وسعها »

وجلست الى أقرب مائدة ووضعت العصا عليها واضطجعت منغمض العينين حتى انتظمت أنفاسي وسكن اضطراب صدري ، وهدأت دقات قلبي ، ثم التفت الى صديقي وقلت « الله يرحم أيام الشباب ! ! هل تعرف يا بني ؟ لقد كنت أصعد درج السلم — مائة درجة — خمس مرات أو ستا في اليوم ، جريا بلا تمهل أو ترفق ؛ وكنت أستحم في الشتاء القارص البرد من بئر في البيت ، مرتين ... مرة في الفجر ومرة في العصر ؛ وكنت أستطيع أن ألتهم نصف الخروف وحدي فضلاً عن غيره من الألوان ... أين هذه الأيام ؟ إيه ؟

وتنهدت : فقال : « يظهر أنك كنت قوياً متين الأسر في شبابك ! »

قلت : « قوى ؟ ولو لم أكن قويا لما عشت الى هذه السن . أما أقول لك ... كنت أتناول عيدان القصب ... سبعة وأربطها ثم أتناولها من الطرفين وأضرب بها ساق ، فتنكسر ... أعني العيدان هي التي كانت تنكسر لا ساق بالطبع ... ها ها ... تنكسر ولا تبقى قشرة واحدة تصل قطعتي عود...فهل تستطيع الآن — وأنت شاب — أن تصنع هذا ؟ »

فهز رأسه وابتسم ، فقلت : « وعلى الرغم من ضعفي الظاهر وشيخوختي العالية ، لا أزال محتفظاً ببعض القوة ، ولولا أن الدخان قطع نياط قلبي لما رأيتني أنهج ... احذر يا بني أن تعتاد التدخين ! إنها نصيحة شيخ مجرب ... نصيحة لوجه الله . نعم لا تزال فيّ قوة باقية ... هذه يدي ... اقبض عليها ... احتفظ بكل قوتك وانظر »

وفتحت له كفي ، ومددت إليه ذراعي فتناول يدي كما يفعل المرء عند المصافحة ، ثم قبض عليها وقبضت على يده ، وضغط وضغطت . ثم بدت عليه الدهشة ، وقد نسيت أن أقول إني كنت وما زلت قوى الذراعين جداً إذا اعتبرنا ضآلة جسمي ، وكل قوتي في يدي ، فلا عجب إذا كان قد دهش ، فقلت له : « أرأيت ؟ ؟ ألم أقل لك ؟ ؟ وتصور كيف كنت خليقاً أن أكون لولا فعل الدخان الملعون ؟ ؟ لقد خرب صدري من سوء تأثيره ... »

وسحبت يدي وفركتها فقد كانت ضغطته قوية لا رفق فيها قبحه الله ؛ وجاء في هذه اللحظة واحد آخر من إخواني وكان كثير العبث ، فوقف ينظر إلينا ويعجب ، ثم سأل صاحبه بصوت عال كأنما كان قد وثق أني أصم

« من هذا الرجل الفظيع ؟

قال : « هذا شيخ يستريح ... اسمع ... (لي) أعطه يدك ليمتحن قوتها .. »

فقلت : « لا يا بني ... تعبت ... »

وقال : اللعين الواقف « ماذا تصنع بكل هذه اللحية ؟ أليس في بيتك مقص ؟ أو مخرطة ؟ أو منشار ؟ »

فخطر لي أن أمازحه — وليتني ما فعلت — فقلت : « لا فائدة . وما غناء المقص ؟ ؟ إنه يتقصف إذا لامسها ... والمنشار ما حيلته في هذه الخيوط الحديدية ؟ ؟ لا ... لا تطمع في محوها ، فقد أعياني أمرها مذ جئت إلى هذه الدنيا .. وقد كنت حين بدأت أتعلم المشي بعد الحبو أتعثر بها ... »

فقهقه اللعين ثم مد يده إليها وتناول شعرات منها وفتلها كما يفتل الحبل ، وأنا صابر جامد لا أتحرك مخافة أن أرتد برأسي فتتزحزح عن موضعها أو تسقط في يده ، وكنت أتبسم أيضاً لأتألفه وأخجله عسى أن يكف عن لحيتي ، فأطمعه حلمي ، فكف عن فتل الشعرات ، وتناول منها قبضة ، فاضطربت ، وجذب هو ، أو ارتددت أنا — لا أدري — فاذا هي في يده .؟؟

وقلت بعد أن سكتت العاصفة : « ما قولكما الآن ؟؟ ألم أخدعكما ؟؟ » وبدأت أقلد نفسي وأقول : « هل تستطيع يا بني أن تدلني على لاظ اوغلى ؟ ... لقد قطع الدخان أنفاسي ، فيحسن أن أستريح هنا برهة ... احذر يا بني الدخان ، فأنك ترى ما صنع

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

بي ... والآن أعترف أني كنت بارعاً ... »

فقال اللعين: « بارع ؟ أنت كنت بارعاً ؟ .. لقد عرفتك على بعد عشرة أمتار .. يقول إنه كان بارعاً ؟؟ وأين المغفل الذي يمكن أن تخدعه هذه اللحية السخيفة ؟؟ ... وعلى فكرة ... ألا تنوي أن تخلع الشاربين والحاجبين ؟؟ فأنا أخاف أن يجتمع علينا الأطفال ويتدخل الشرطة وتسوء العاقبة بها »

فنزعتها، فما بقيت بي إليها حاجة بعد زوال اللحية، ولكني لم أستطع أن أصدق أن يكون قد عرفني كما زعم بعد أن نكرني أهلي — وأخي على الخصوص. وقد أعياني أن أعرف الحقيقة، فسكت ... وآليت بعد ذلك ألا أبرز للناس إلا في جلدي الذي خلقه الله لي ...

ابراهيم عبد القادر المازني

في الأدب المقارن

أثر نظام الحكم
في الأدبين العربي والانجليزي
للأستاذ فخري أبو السعود

تمر الأمم في استقرارها وتحضرها بثلاثة أطوار عامة من أنظمة الحكم: ففي الطور الأول تكون أزمة الأمور بأيدي رؤساء القبائل الرحالة أو القريبة العهد بالاستقرار، وهو ضرب من الحكم أرستقراطي؛ وفي الطور الثاني تتجمع مقاليد الحكم في يد حاكم فرد يوحّد أجزاء مملكة ذات مساحة يُعتد بها وتخوم طبيعية، وهو نظام الملكية؛ وفي الطور الثالث يعود تصريف شؤون الدولة في أيدي جميع أبنائها القادرين، وهو النظام الديمقراطي الذي هو أصلح الأنظمة جميعاً، إذ هو أدناها إلى العدل والمساواة وأجدرها أن يفسح المجال للمواهب الفردية ويمهد الطريق لرقي الأمة

ومن الشعوب البدائية ما لا تتجاوز الطور الأول، ومن الأمم ما تقف عند الثاني كجميع دول الشرق القديم، ومنها ما تصل إلى الثالث كبعض مدن اليونان ورومة، وقد تعود دولة بعد بلوغ الطور الثالث فترتد إلى الثاني، لنكسة في أحوالها تحرمها التمتع بمزايا الحكم الديمقراطي وتجعل الحكم الفردي ضربة لازب، ومثال ذلك رومة حين اتسع سلطانها وأفسد الترف أخلاق أبنائها، فعجز السناتو عن تصريف شؤونها ووقع حكمها في قبضة الدكتاتوريين والأباطرة

وقد عرف العرب الطور الثاني من أطوار الحكومة في جاهليتهم في أطراف الجزيرة، حيث ساعد خصب الأرض واستواؤها على توحيد دولة متسعة وتوطد ملكية قوية، أما في سائر الجزيرة فظل الطور الأول، طور الحكم الأرستقراطي، سائداً، وبلغ بين بعض قبائلها ولا سيما في الحجاز مستوى عالياً من الاحكام؛ وكانت لأشراف العرب دراية عملية فائقة بقواعد الحكم والاجتماع. تتمثل في قول الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تبقى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد

وهو تلخيص شعري رائع لنظريات أرسطو في السياسة.

وقد نمّى هذا النظام في نفوس العرب نزعات الحرية والحمية والشجاعة التي أدت إلى دوام الخصام بينهم، وأورثتهم الفخر بالعصبية والتمدح بالنسب؛ وأثر كل ذلك بيّن في أشعار ذلك العهد التي أغلبها تكرار مستمر للمفاخر والمآثر القبلية، وتمدُّح بالعز والمنعة، فألى ذلك صرف شعراؤهم قولهم، ولم ينصرف الشعراء إلى مدح الملوك وتعداد مآثرهم دون مآثر القبيلة أو الأمة إلا حيث قامت ممالك الغساسنة والمناذرة والتبابعة، فكانت من ذلك مدائح حسان والنابغة والأعشى

فلما جاء الاسلام خرج العرب دفعة واحدة من الطور الأول من أطوار أنظمة الحكم طور الأرستقراطية، إلى طور الملكية الذي توطدت بينهم قواعده وظلوا في حدوده لا يتعدونه إلى الطور الثالث طور الديمقراطية؛ ويرجع تمكن الملكية بين العرب بعد تعودهم التشاور في الأمور ورغم حض الاسلام على ذلك التشاور، إلى عوامل خطيرة أولها مكانة النبي عليه السلام: إذ كان أول حاكم فرد للجزيرة، وكان له من جلال النبوة وعظمة الشخصية والقدرة الخارقة ما عوّد العرب الامتثال لأمير مطاع؛ وزادهم انقياداً لهذا الضرب من الحكومة اقتفاء العُمَرَيْن أثره

فى عدل الحكم ونجاحهما فى الخارج والداخل ، وحرص المسلمين على وحدة الكلمة والدينُ ما يزال يجاهد أعداءه ؛ ومن تلك العوامل أيضاً اتساع أطراف الدولة العربية السريع ، حتى عادت إدارتها متعذرة إلا بيد حاكم فرد مطاع ؛ ومنها قيام الدولة على أنقاض ملكيات عتيدة ما لبثت تقاليدها أن سرت فى كيان الدولة الجديدة ؛ ومنها الصفة الدينية التى ظل يتخذها الحاكمون

لذلك هجر العرب تدريجياً تقاليد التشاور وتوطد لديهم نظام الملكية المطلقة ، فكان منذ قيام دولتهم النظام الوحيد الذى عرفوه ، أو فكروا فيه ، فلم يقم من مفكريهم من نادى بنظام مخالف له ، أو دعا إلى ضرب من الديمقراطية ؛ بل كانت الملكيـة لديهم هى النظام الطبيعى الذى لا نظام غيره ؛ وظل لسان حالهم قول المتنبى : « وإنما الناس بالملوك » ، وإنما كان أحرارهم يفرضون فى الملك العدل والاصلاح واتباع أحكام الدين وإلا وجب خلعه . وعلى هذا الأساس كان خلع عثمان والوليد ابن يزيد ، وامتلأ تاريخ العرب بالثورات ، ولكنها لم تكن — فيما عدا ثورة الخوارج الذين تمسكوا وحدهم بتقاليد الجاهلية وديمقراطية الاسلام — تمردا على نظام الملكية المطلقة ، بل كانت ثورة مظلوم على ظالم ، أو وثبة فرد بفرد ، أو فتكة أسرة بأسرة ؛ وفى ظل هذا النظام الملكى المطلق بلغ الأدب العربى غاية رقيه

أما فى انجلترا ، فساعدت الظروف المحلية الجغرافية والتاريخية على خروج الشعب من الطور الثانى إلى الطور الثالث من أنظمة الحكم ، فأن عزلة الجزيرة أبعدتها عن غمار الحروب التى تتخذها الملكية ذريعة لتقوية سلطانها ، وفرض الضرائب ، وجمع جيش قائم يخمد كل تمرد على مظالمها فى الداخل ويشيد فى الخارج امبراطورية لا يتسق حكمها لغير الملكية ، فلم يتجه الشعب الانجليزى إلى التوسع الخارجى ، ولم يبن امبراطورية إلا بعد أن وطد أساس حقوقه وحرياته ، وبنى تلك الامبراطورية تدريجاً ، فلم يستهدف لتضخُّم فجائى يوقع حكومته فى يد دكتاتور ، وبذلك ظل الشعب غنياً عن خدمات الملكية فى الخارج قادراً على كبح جماحها فى الداخل لقوته وضعفها ، فأحرز عليها النصر الحربى فى كل ثورة ثارها فى وجهها ، بينما كان نصيب الثورات الشعبية فى الدولة العربية السحق العاجل

ترعرع الأدب الانجليزى وقد ثبت النظام الدستورى فى انجلترا بجانب نظام الملكية ، وشهد الأدب تضامنهما أحياناً كما فى عصر شكسبير ، وصراعهما أحياناً كما فى عصر ملتون ، وكان رجال الأدب عادة فى جانب الحرية والديمقراطية يجاهرون المستبدين العداء ، وقد عميت عينا ملتون فى دفاعه بقلمه عن الجمهورية فى ظل كرومويل ؛ ولم يصالح ما بين الملوك والأدباء إلا بعد انتصار الديمقراطية على الملكية ، وصيرورة الملكية جزءاً من النظام الدستورى ، وشارة من شاراته ؛ وفى ظلال هذه الديمقراطية بلغ الأدب الانجليزى مبالغ عظمته

فهذا فرق ما بين الأدبين فى هذا الصدد : أن أحدهما بلغ أوجه فى ظل النظام الملكى ؛ والثانى جرى إلى مداه فى حمى النظام الدستورى ؛ ومن ثم نجد الأدب الانجليزى أعظم حرية فى النزعة وأصدق فى التعبير ، وأغنى بالمواضيع ، وأكثر تنوعاً فى الأشكال ، لأن الملكية ليست بخير النظم التى يترعرع فى ظلها الفن الصحيح ، لأنها شديدة الأثرة والغيرة ، لا ترضى من ضروب النشاط إلا بما يتوفر على خدمتها ، ولا تسمح للحق والفن بالذيوع إذا كان فى ذيوعهما تحدٍّ لسلطتها . أما النظام الدستورى فيفسح المجال للمواهب بلا عائق ، ويطلق العنان للحقيقة بلا كابح

فمن شأن الملكية المطلقة أن تخمد الرأى العام فى بلادها ، لأنها « هى الدولة » والرأى لها ، لا يكاد ينطق ناطق أو يعمل عامل إلا بما ترضاه ؛ ومن ثم كفَّت الشعب عن ممارسة شؤون الحكم ، وكفَّت الأدباء عن نقد أحوال المجتمع ؛ فعاش أدباء العربية بنجوة عن ذلك المجتمع لا يكادون يشعرون بشعوره أو يعبرون عن خوالجه أو يصفون أحواله ، ومن ثم لم تظهر فى الأدب العربى القصة التى تدرس المجتمع وتحلل دخائل النفس، وجاء شعر الشعراء ونثر الكتاب أكثره نظرياً لا اتصال بينه وبين حقائق المجتمع والحياة اليومية . أما فى انجلترا فان توطُّد أركان الديمقراطية صاحبهُ ظهور القصة الاجتماعية وتعاظم مكانتها حتى طغت على أشكال الأدب الأخرى

وفى ظل الملكية المطلقة ذوَى ضربٌ آخر من ضروب الأدب ، هو الخطابة التى لا تزدهر إلا حيث الديمقراطية والمشاورة وحرية الرأى ، فنراها بعد أن بلغت أوجها قبيل الاسلام وفى صدره تخمل تدريجا تحت الملكية التى تستأثر بالرأى

والفعل ، وتبطل كل رأى آخر وكل فعل ، على حين ظلت للخطابة فى الانجليزية منزلتها ، وأنجب البرلمان الانجليزى فى عهوده القريبة خطباء مصاقع ، أمثال والبول وفوكس وبت وبرايت وغلادستون

وفى نظير ابتعاد الأدباء عن نقد المجتمع والخوض فى شؤون الحكم ، ترك لهم الملوك عنان العبث مرسلا ، يقارفون ضروب المجون فى منتدياتهم ، ويدونون صنوف الهجر فى آثارهم ، ويتبادلون فاحش القول فى أشعارهم ، فامتلأ الأدب بذلك السقاط حتى ظن المتأخرون الذين شبوا على دراسته أن الرقاعة والخلاعة من صفات الأديب ، وحتى ترفع ذوو الحسب عن معاطاة الأدب

ولم يكتف الملوك بكف الأدب عن نقد أعمالهم بل اتخذوا رجاله أبواقا للتمدح بمآثرهم ما صحّ منها وما بطل ، فكما اتخذوا من مرتزقة الجند أنصارا لهم على إخضاع الرعية ، اتخذوا من مرتزقة الشعراء أعوانا على تضليلها ، وقد هبط هذا الارتزاق بالأدب عن مكانته السامية درجات ؛ وحسبك أن يهبط الشاعر من قمة الفن والشعور والصدق الى وهدة الشحاذة والتمليق والكذب ، وهذه خلال تنزه عنها الأدب الانجليزى فى أغلب عهوده ، لأن الشعب لم يمكّن الملكية من ابتزاز ثمار اجتهاده وكده لتبعثرها فى مظاهر الأبهة الجوفاء ، وتنثرها على المرتزقة من الجند والشعراء

وفى سبيل استرضاء الحكام واستدرار صلاتهم لم يحجم كثير من الشعراء عن امتهان الفن من جهة ، فأذالوا الشعر وملأوه بالأكاذيب ، وعن امتهان الخلق الكريم من جهة ، فمدحوا الظالم والقاتل ما دام فى دست الحكم ، وتقربوا اليه بذم أحفاد الرسول ، وتملقوه بهجاء من فتك بهم من قواد ووزراء ، وهجا البحترى الخلفاء المخلوعين ومدح من استعادوا العرش على التوالى ، ومدح بشار العلوىّ الخارج على المنصور ، فلما علم باندحاره حور القصيدة ومدح بها المنصور . وتحاسد الشعراء وتهاجوا لتنافسهم على جوائز الأمراء ، على حين نرى فى الانجليزية أن شلى لما بلغه امتداح سوذى لملك انجلترا فى ذلك العهد امتداحا متملقا ، كتب اليه يوسمه توبيخا ويجاهره بالقطيعة

وإذا ندرت فى الأدب العربى آثار انتصار الأدباء للشعب ومناصبتهم الملوك دفاعا عنه ، فلم تندر فيه اخبار الخارجين على الحكام طلبا للملك والمجد الشخصى كحكاية تميم بن جميل الذى أنشد بين يدى المعتصم تائيته البديعة التى مطلعها :

يعز على الأوس بن تغلب موقف   يسل علىّ السيف فيه وأسكت

ولم تندر أخبار الأدباء الطامحين الى الملك كالمتنبى الذى خرج فى صباه وظل يتوق الى الخروج طول حياته ، والشريف الرضى الذى باح مرة بدخيلة نفسه فأسقط عليه الخليفة ، بقصيدته التى أولها :

ما مُقامى على الهوان وعندى   مِقوَل صارم وأنف حَمِىّ

وما كان مثل ذلك ليكون فى الأدب الانجليزى : فالأدباء الانجليز كانوا أشد حبا للأدب واعتدادا بمكانة الفن من أن يهجروهما إلى شيء آخر ولو كان هو المُلك ، كما كانوا من جهة أخرى أشد إخلاصا لوطنيتهم ووفاء لسعادة بلادهم من أن يفكروا فى اعتراض سبيل الحياة الدستورية التى رضيتها لنفسها ، وما كانت الظروف لتعينهم لو حاولوا بأكثر مما أعانت أدباء العربية سالفى الذكر

ولتزاحم شعراء العربية على صلات الملوك ومن تشبّه بهم من الأمراء تجمعوا فى المدينة وانصرفوا عن محاسن الطبيعة ، فلم تفز من أغلبهم بكبير التفات . وقُل مثل ذلك فى شتى أبواب الشعر : فما يكاد يكون فى أشعار الفحول وصف لجيش أو أسطول أو بحر أو بلد أو قصر أو منظر ، أو رثاء أو حكمة أو تفكير فى الحياة والموت ، إلا مرئيا كل ذلك من وجهة نظر الممدوحين وجاريا فى أطواء مدحهم والترنم بما حازوا من رفيع الشأن ، فكانت مدحة صاحب النوال هى الوحى الأول الذى يدفع الشاعر إلى ملاحظة تلك المشاهد وتدبُّر تلك الحقائق

ولاعتماد الأدباء فى معاشهم على صلات الأمراء ، وتوقُّف سعودهم ونحوسهم على رضى الأمراء وغضبهم ، كثرت الشكوى فى الأدب العربى ، وأنحى الأدباء على ما أسموه الدهر ذما وتقريعا وتفنيدا ، وعزّوا أنفسهم بالتفاخر الأجوف ، وطال ذمهم لحرفة الأدب ، وما يلازمها من شقاء وحرمان ؛ ولا ذنب للأدب ، وإنما هم صيروه حرفة وما هو إلا فن ، بل هبطوا به إلى ما دون الحرفة فصيروه تسولا . أما فى الانجليزية فنرى جيبون مثلا يسخر مرّ السخر ممن يزعمون أن للأدب أشقاهم ، ويعلن فى صراحة واغتباط أن كتابه عن تاريخ الرومان كان خير رفيق له

وسعير لروحه أعوام تصنيفه ، ثم أناله من بعد ذلك صيتاً وضمن له بعد مماته ذكرا ما كان يستحقه بدونه .

أما من قنطوا من صلات الأمراء من بين شعراء العربية ، وقعد بهم عجز حيلتهم عن الوصول إلى ساحات الملوك ، فاما هجروا الشعر جملة وإما عكفوا على نظم أشعار الزهد ، فغزر ذلك الضرب من النظم في العربية . وليس التزهيد في الحياة بأسمى رسالات الآداب ، بل رسالتها الصحيحة الترغيب في الحياة والتعبير عن جمالها والدعوة إلى الاستمتاع به .

ولطمع الأدباء في جوائز الأمراء نزحوا من أطراف البلاد إلى العاصمة ؛ فصارت دون سواها من المدن مجال الشعر وسوق الأدب ، وخمد في غيرها نور الفنون ؛ أما في انجلترا فقلما هجر أديب بلده إلى لندن طلبا للحظوة والمال ، بل هجر بعضهم مُقامه بالعاصمة إلى منطقة البحيرات ، فاستقر حيث الجمال الطبيعي والحياة الشعرية والوحي الصادق ، وحيث عرش الطبيعة لا عروش المالكين .

ومن خلال المدح كان يتحدث شعراء العربية عن انتصارات الدولة في الحروب ، فكل من أبي تمام والمتنبي وابن هانيء الأندلسي يشيد بانتصار ممدوحه ، وينسب إليه كل الفضل في تدبير الرأي والاقدام وهزيمة العدو ونصر الدين ؛ أما في الانجليزية فكان شعراء الوطنية أمثال كامبل وتنيسون وكبلنج يرون في انتصارات الدولة ظفراً للقومية الانجليزية لا فخراً شخصيًّا للملك ، فتغنى الشعراء بتلك الانتصارات ، وشادوا ببسالة القواد وأمراء البحر الذين أكسبوا أمتهم مواقف الفخار ، وقلما التفتوا إلى الملك أوخصوه بذكر .

وكما طلب شعراء العربية الرزق بمدح الملوك ، طلبه الكتاب بالاستيزار والانشاء في دواوينهم ، فجاءت آثارهم الأدبية كآثار الشعراء ، كثيرة المبالغة والاغراق ، قليلة النصيب من صدق الشعور وصحة النظر ، كثيرة التلاعب بالألفاظ ؛ وكان لأولئك الوزراء شأن أعجب من شأن الشعراء : إذ اتخذهم الخلفاء وسيلة لابتزاز أموال الرعية ، حتى إذا ما حان الحين فتكوا بهم واستصفوا أموالهم ، وكُتُبُ الأدب حافلة بأنباء نكباتهم .

ولا ريب أن غيرة الملوك على سلطانهم المطلق كانت من أسباب الانصراف عن ترجمة تراث اليونان الأدبي والتاريخي ، كما تُرجم تراثهم الفلسفي إلى العربية ، لأن هذا الأخير مشحون بالنظريات والقضايا الخيالية التي لا تتعرض لسلطانهم بسوء ، على حين أن تراث اليونان الأدبي حافل بمظاهر الديمقراطية ، وآثار اشتراك الشعب في حكم نفسه(1) ، فالملكية أكثر تسامحا مع العلماء وتشجيعاً للعلوم التي تدْرُسُ ظواهر الكون العامة ، منها للآداب التي تترجم عن مشاعر النفوس ؛ ولا شك في أن اطلاع الانجليز على آداب الاغريق وتاريخهم كان من عوامل تمكين نفوسهم وتشبثهم بحقوقهم . وهكذا كانت الملكية المستبدة من أسباب حرمان الأدب العربي من الأثر اليوناني الذي استفاد منه الأدب الانجليزي فوائد جزيلة .

فالملكية في إبان صولتها ليست بخير أنظمة الحكم التي تزدهر في ظلها الآداب الرفيعة ، أما في عهود عجزها فهي شر مستطير على الفكر والحضارة عامة : فحين ضعفت قبضتها على الدولة العربية تقطعت أوصال المملكة ، وتكاثر الملوك والأمراء وتنازعوا وتحاربوا ، فكل بلدة « فيها أمير المؤمنين ومنبرُ » ، وظهروا في جلود الأسود منتفخين ، وأفقروا البلاد بحروبهم ومغارمهم ، وكان منهم الأعاجم الذين لا يقدرون الأدب ، فخيب لديهم رجاء الشعراء فركد حتى ذلك الضرب من الشعر المملوء بالأماديح والمبالغات ، ودخلت الحضارة عامة والآداب خاصة في دور ذلك التدهور الطويل الذي دام قرونا .

فالأدب العربي قد شهد الطورين الأول والثاني من أطوار النظام الحكومي التي تقدم ذكرها في صدر هذه الكلمة : طور الأرستقراطية في الجاهلية ، وطور الملكية في الاسلام ، فجاء في الطور الأول أكثره حماسي عصبي ممجد للقبائل وأبطالها ، وكان قائلوه عادة من الأشراف ذوي المكانة ، وظل في الطور الثاني مكفوفاً في حيز الحدود التي رضيتها له الملكية ، منصرفاً عن أغراض كثيرة من أغراض الفن السليم ، وترعرع الأدب الانجليزي في الطور الثالث من أنظمة الحكم ، طور الديمقراطية ، فجاء حر النزعة ، متعدد النواحي ، واسع الأفق ، محتفظاً بسمو الفن وتجرده عن المادة ؛ وكان الفرق بينه وبين الأدب العربي ، أن الأخير بلغ أشده في ظل الحماية والمنحة ، والأول جرى إلى غايته في ظل الحرية والاستقلال

فخرى أبو السعود

(1) ذلك رأي وجيه إذا ثبت أن هؤلاء الملوك قد اطلعوا على مضامين الأسفار الأدبية الاغريقية في أصولها (الرسالة)

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٦ —

للباحثين فى تاريخ الفلسفة مذاهب كثيرة وطرائق مختلفة . فجماعة يرون أن واجب المؤرخ ينحصر فى دراسة الأشخاص وتفصيل القول فى حياتهم وبيان الظروف المحيطة بهم والعوامل الداخلية والخارجية التى أثرت فيهم . ولا يعنون عناية كبيرة بأفكارهم فى نشأتها وتكونها وارتباطها بالآراء والنظريات السابقة واللاحقة . على أنهم إن تعرضوا لهذه الأفكار نظروا إليها منعزلة عما حولها ، وبدت فى أيديهم كأنها وحدة مستقلة وحلقة منفصلة عن سلسلة التفكير الانسانى . وهناك طائفة أخرى تؤمن بأن الفلسفة دائمة وأن الأفكار الفلسفية فى مختلف العصور متصلة الحلقات مرتبط بعضها ببعض . فيجب على الباحث إذن أن يبين مقدار تأثر الخلف بالسلف وما زاد التلميذ على الأستاذ . وليس بكاف أن يقال إن فيلسوفا ما جاء بفكرة معينة ، بل لابد من البحث عن أمهات هذه الفكرة وجداتها القريبات أو البعيدات ، وعن بناتها وبنات بناتها إن صح أنها أعقبت فى الأجيال التالية ؛ والأفكار كالأشخاص ذات تاريخ يطول ويقصر وحياة متنوعة الألوان والأشكال ، فى حين أنه يقدر لبعضها الخلود قد يقضى على بعضها الآخر بالاهمال والنسيان

وفى رأينا أن الدراسة التاريخية الكاملة تستلزم الجمع بين هاتين الطريقتين ؛ وكى تفهم الأفكار فهماً صحيحاً يجب أن تدرس على ضوء حياة أصحابها والبيئة التى تكونت فيها ، ولا يمكننا أن نقدُر الفلاسفة والمفكرين حق قدرهم وننزلهم فى المنزلة اللائقة بهم إلا إن تتبعنا أفكارهم فى مختلف أدوارها وأثبتنا ما أنتجت من آثار . وكثيراً ما أعانت الأفكار على توضيح نواح غامضة فى حياة مبتكريها أو القائلين بها

وسيراً على هذه السنة قد بدأنا فعرضنا نظرية النبوة كما تصورها الفارابى ، وحاولنا أن نبين الأسباب الاجتماعية والدينية التى دفعته إليها ، والمناقشات اليومية والأبحاث النظرية التى ولدتها ، ثم صعدنا إلى أصولها التاريخية ووضحنا العلاقة بينها وبين بعض الآراء القديمة ، وناقشناها أخيراً مبينين ما إذا كانت تلتئم مع التعاليم الاسلامية وتقصر شقة الخلاف بين الفلسفة والدين ؛ ونرى اليوم واجباً علينا أن نبين ما لهذه النظرية من أثر فيمن جاء بعد الفارابى من فلاسفة ومفكرين ، وسنتتبع تاريخها فى المدارس الاسلامية على اختلافها محاولين أن نبين كذلك مقدار نفوذها لدى اليهود والمسيحيين فى القرون الوسطى والتاريخ الحديث

وقد يكون أول سؤال يسأله الباحث هو : هل أخذ فلاسفة الاسلام الآخرون بهذه النظرية ؟ والجواب على هذا أن ابن سينا أولاً اعتنقها فى إخلاص ، وعرضها على صورة تشبه تمام الشبه ما قال به الفارابى من قبل ، وقد خلف لنا رسالة عنوانها : (فى إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم) [1] ، وفيها يفسر النبوة تفسيرا نفسيا سيكلوجياً ، ويؤول بعض النصوص الدينية تأويلاً يتفق مع نظرياته الفلسفية . ويبدأ كالفارابى ، فيوضح الأحلام توضيحاً علمياً ؛ فاذا ما حل مشكلتها جاوزها الى موضوع النبوة . وفى رأيه أن التجربة والبرهان يشهدان بأن النفس الانسانية تستطيع الوقوف على المجهول أثناء النوم ؛ فليس يبعيد عليها أن تستكشفه فى حال اليقظة . فأما التجربة والسماع فيقرران أن أشخاصاً كثيرين تنبأوا بالمستقبل بواسطة أحلامهم . وأما عقلاً فنحن نسلم بأن الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلة مثبتة فى العالم العلوى ومقيدة فى لوح محفوظ ، فاذا استطاعت النفوس البشرية الصعود الى هذا العالم والوقوف على هذا اللوح عرفت ما فيه وتنبأت بالغيب ، وهناك أشخاص يدركون هذا أثناء النوم عن طريق مخيلتهم فيحلمون بأشياء كأنها حقائق ملموسة ، وآخرون عظمت نفوسهم وقويت مخيلتهم ، فأدركوا ما فى عالم الغيب فى حال اليقظة كما يدركونه أثناء النوم . وهؤلاء هم الأنبياء

(١) ابن سينا ، تسع رسائل فى الحكمة ، ص ١٢ وتوابعها ، لسنا فى حاجة إلى أن نشير إلى أن فى هذا العنوان ضرباً من التحريف منشؤه فى الغالب عدم عناية الناشر

الواصلون الى مرتبة النور والعرفان . يقول ابن سينا « التجربة والقياس متطابقان على أن للنفس الانسانية أن تنال من الغيب نيلا ما فى حال المنام . فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل فى حال اليقظة إلا ما كان الى زواله سبيل ولارتفاعه إمكان . أما التجربة فالتسامع والتعارف يشهدان به ، وليس أحد من الناس إلا وقد جرَّب ذلك فى نفسه تجارب ألهمته التصديق ، اللهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج نائم قوى التخيل والتذكر . وأما القياس فاستبصر فيه من تنبيهات :

تنبيه : قد علمت فيما سلف أن الجزئيات منقوشة فى العالم العقلى نقشا على وجه كلى ، ثم قد نُبهت لأن الأجرام السماوية لها نفوس ذوات إدراكات جزئية وإرادات جزئية تصدر عن رأى جزئى . ولا مانع لها عن تصور اللوازم الجزئية لحركاتها الجزئية من الكائنات عنها فى العالم العنصرى

إشارة : ولنفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل . قد علمت ذلك فلا تستنكرن أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه[1] » فالحقائق منقوشة فى العالم العلوى وكل من اتصل به أدركها . والمهم فقط هو شرح كيفية هذا الاتصال . وابن سينا يوضح هذا توضيحاً يحاكى فيه الفارابى حذوك القذة بالقذة . فيلاحظ أن بعض المرضى والممرورين يشاهدون صوراً ظاهرة حاضرة دون أن يكون لها أية صلة باحساساتهم الخارجة ؛ ولا بد لهذه الصور من سبب باطنى ومؤثر داخلى . وإذا بحثنا فى قوى النفس المختلفة وجدنا أن المخيلة مصدر الصور الباطنية المختلفة[2] بيد أنه قد يصرفها عن عملها شواغل حسية وأخرى باطنية[3] . فاذا انقطعت هذه الشواغل أو قلت أثناء النوم لم يبعد أن تكون للنفس فلتات تخلص بها إلى جانب القدس فينتقش فيها نقش من الغيب . وإذا كانت النفس قوية الجواهر تسع الجوانب المتجاذبة ، وتستطيع الاستيلاء على الشواغل المختلفة ، لم يبعد أن يقع لها هذا الخلس والانتهاز فى حال اليقظة[4] . وهذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلى ؛ وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس كالمجردة لشدة الذكاء كما تحصل لأولياء الله الأبرار . والذى يقع له هذا فى جبلة النفس ثم يكون خيراً رشيداً مزكياً لنفسه ، فهو ذو معجزة من الأنبياء ، أو كرامة من الأولياء[1] . وتزيده تزكيته لنفسه فى هذا المعنى زيادة على مقتضى جبلته فيبلغ المبلغ الأقصى[2]

فالنبوة إذن فطرية لا مكتسبة ، وكل ما للكسب فيها من يد أنه يزيد النبى كمالاً على كماله ، ورفعة فوق رفعته . وإذا ماحظى شخص بالاتصال بالعالم العلوى تمت على يديه أمور خارقة للعادة من معجزات وكرامات . وهذه الأمور وإن غاب عنا سرها يمكن أن تفسر من هذه الطريق النفسى الروحانى . يقول ابن سينا : « لعلك قد تبلغك عن العارفين أخبار تكاد تأتى بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب . وذلك مثل ما يقال إن عارفاً استسق للناس فسُقوا ، أو استشفى لهم فشُفوا ، أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا أو هلكوا بوجه آخر ، أو دعا لهم فصرف عنهم الوباء والموتان ، أو السعير والطوفان ، أو خشع لبعضهم سبع ، أو لم ينفر عنه طير ، أو مثل ذلك مما لا يأخذ فى طريق الممتنع الصريح ، فتوقف ولا تتعجل ، فان لأمثال هذه أسباباً فى أسرار الطبيعة ، وربما يتأتى لى أن أقص بعضها عليك[3] . » وهذه الأسباب ، فى رأى ابن سينا ، ليست شيئاً آخر سوى أن النفوس السامية وقد تجردت عن المادة وصعدت إلى سماء الأرواح تستطيع التأثير فى العالم الخارجى مثل نفوس الأفلاك وعقولها[4] . وأثرها هذا خاضع فى الواقع للارادة الالهية وفيض من العناية الربانية . فالمعجزة وإن خرجت على المألوف فى ظاهرها هى أثر من آثار القوى المتصرفة فى الكون . وكأن ابن سينا أحس بأن هناك أشخاصاً سيتمادون فى طريق الفروض العقلية ويرفضون هذه التفسيرات الروحانية ، فعاد فى آخر بحثه ودعاهم إلى التأنى والتدبر والبحث والتمحيص قبل الانكار والقطع

(١) ابن سينا ، الأشارات ، ص ٢٠٩ — ٢١١
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٢
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ — ٢١٣
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٤

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٩
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ — ٢٢٠

بالاستحالة، وختم إشاراته بتلك النصيحة الذهبية الغالية التى يجب أن يضعها كل باحث وكل مفكر دائماً نصب عينيه. يقول: «إياك أن يكون تلبُّسك وتبرُّؤك عن العامة هو أن تنبرى منكراً لكل شىء فذلك طيش وعجز، وليس الخرق فى تكذيبك ما لم تستبن لك بعدُ جليَّتُه دون الخرق فى تصديقك ما لم تقم بين يديك بيِّنتُه. بل عليك الاعتصام بحبل التوقف، وإن أزعجك استنكار ما يُوعاه سمعك ما دامت استحالته لم تبرهن لك. والصواب لك أن تُسرِّح أمثال ذلك إلى بقعة الامكان، ما لم يذدك عنها قائم البرهان، واعلم أن فى الطبيعة عجائب، وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب[1]»

درس ابن سينا نظرية النبوة فى البحث الأخير من الأشارات فجاءت درة العقد وأكليل الكتاب، وأفاض عليها من فصيح بيانه وقوة برهانه ما منحها سلطاناً فوق سلطانها وقوة إلى جانب قوتها، ويغلب على ظننا أن كل فلاسفة الاسلام أخذوا بها. ومما يؤسف له أنه لم يصلنا شىء عن ابن باجة وابن طفيل يوضح موقفهما إزاءها، إلا أن نزعتهما التصوفية ورغبتهما الأكيدة فى التوفيق بين الفلسفة والدين تدفعنا إلى القول بأنهما كانا يسلمان بها ويدعوان إليها، أما ابن رشد فقد عرض لها فى تهافت التهافت مفنداً لاعتراضات الغزالى ومدافعاً عن الفلاسفة القدامى والمحدثين، وهو يرى أن هذه النظرية وإن تكن من صنع فلاسفة الاسلام وحدهم مقبولة فى جملتها، ولا وجه للغزالى فى الاعتراض عليها[2]، وما دمنا نسلم أن الكمال الروحى لا يتم إلا باتصال العبد بربه فلا غرابة فى أن تفسر النبوة بضرب من هذا الاتصال. غير أن هذه التفسيرات العلمية يجب أن تبقى وقفاً على الفلاسفة والعلماء، فأن عامة الناس لا يدركون كنهها ولا يستطيعون الوقوف على حقيقتها[3]، وجدير بنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، ونقدم لكل طائفة ما يناسبها من غذاء

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢١ — ٢٢٢

(٢) ابن رشد، تهافت التهافت، ١٢٦ وتوابعها

(٣) ابن رشد، مناهج الأدلة، ٧٣

الشفاء

للأستاذ على الطنطاوى

... كان مصاباً بالسل، ولكنه سل غريب قاتل، لم يكن فى الرئة ولا فى الأمعاء، بل كان فى النفس، فى الفكر، فكان يعطل شعوره وتفكيره، ويخنق حياته، ويهد كيانه ... كان مصاباً «بداء الحب»

خمدت جذوة قريحته، وتعطلت ملكاته كلها، وضاع ذكاؤه وبادت فطنته، وضاق كل شىء فى نظره، فأصبح يراه مقتضباً مختصراً: فالمسرات كلها اختصرت فى لقاء من يحب، والآلام فى فراقه، والواجبات كلها فى إرضائه، والمحرمات كلها فى إغضابه، واختصر كتاب حياته، وطمس اسمه وعنوانه، فكان حاشية صغيرة على هامش حياة التى يحبها، واختصرت الدنيا الطويلة العريضة المليئة بالفضائل والأمجاد، الفياضة بالجمال والحقيقة والخير، فكانت كلها هذه المرأة..

وأقهمَ عن الطعام واجتواه، وأصبح خالفاً لا يشتهيه ولا يميل إليه؛ وإذا اضطر أكلَ أكل من قزَّتْ نفسه واكتفى بلقيمات ما يقمن صلبه، كأن هذا المرض لا يرضيه ما يفسد من النفس، حتى يحطم الجسم؛ وأصابه الأرق، فأمسى يبيت ليله سهران مسهداً، وإذا رنق النوم فى عينيه، وغلبته حاجة جسمه خفق خفقة، ثم أفاق فزعاً، يفكر فى هذا الانسان، يخاف أن يطير مع الأنفاس، أو يسيل مع الدمع، أو يغرق فى بحر عينيه!..

فهزل جسمه وخارت قواه، وتراخت مفاصله، وشحب وجهه، وآض ساهما رازماً، ضعيفاً مُخَبْخَباً، ولم يعد يعيش إلا على المجاز، يعيش بذكرى أيامه الماضية قبل أن يصيبه هذا السل، أيام كان ذا جسم قوى، وفكر ثاقب، وقلب شاعر.. ولم يعد ينتفع بنفسه، أو ينتفع بها الناس بشىء، لأنه أصبح لا لنفسه ولا للناس ولا للحياة، ولكن لأنسان واحد يحبه..

وهكذا الحب أبداً : مرض فى الجسم ، وضيق فى الفكر ، وفرار من حومة الحياة !

* * *

وكان أمس ، وكان يوماً هجهاجاً من أيام الخريف فى بغداد ، هبت فيه الرياح خرقاء هوجاء معصفة ، تدعذع[1] الأشجار ، وتثير الأوراق ، وتكسر الأغصان ، وتمتد إلى كل شىء فى الطبيعة ، فتعيث فيه وتعبث به ، وتدفعه من ههنا ، وههنا ... معتكرة تسفى التراب . وتحمل هذا الغبار الناعم الدقيق الذى يملأ الجو ويخالط كل ذرة من ذرات الهواء ، وينتشر فى السماء كمثل السحاب ، يمنع الشمس ، ويحجب المرئيات ، ولا يمنع منه شىء ، فهو يدخل الغرف مهما أحكمت إغلاق الباب وضبطت النوافذ ، وينفذ من خلال الثياب مهما كانت حصيفة محكمة ، ويخش[2] فى العيون والمناخر والآذان ، وفى أصول الشعر ، ويمر إلى أجواف الصناديق ، وبطون الخزائن ، وقلوب الساعات ... بل إنه لدقته وخفته وسرعته ليكاد يدخل فى نفسه ...

وكان على صاحبنا أن يغدو إلى عمله فى بغداد ، وكان ينزل ضاحية من ضواحيها ، فتردد ثم لم يجد من الأمر بداً ، فتحزم وتدثر ، وتعطف بمعطفه الثخين ، والتحف فوقه بالممطر (المشمع) يتقى به المطر ، ولف شملة على عنقه ، ولبس قفازيه ، وأخذ عصاه فتوكأ عليها ؛ وسار الهوينى ، لا يطيق حراكا ، لكثرة مايحمل من ثياب ، ولطول الطريق ، وشدة الرياح ، وما به من الضعف والاعياء

* * *

وكان وحده فى طريق (الصُّلَيخ) ، لم يجد سيارة يركبها ، ولا قوماً يصحبهم ، فنزل ماشياً ، وكان الطريق طويلاً على طرفيه النخيل ، تعبث به الرياح فتميل بجذوعه وتحرك أغصانه . فتفرقها ثم تجمعها ، فتبدو كأنما هى مراوح ضخمة ، تحركها يد لا ترى ، فتُروِّح بها على وجه الدنيا ، وكانت تظهر أوائلها ، وتغيب أواخرها فى هذا السحاب الترابى الذى يغطى على كل شىء ، ويصل الأرض بالسماء ، فترى الطريق كأنه صاعد إليها ، أو تراها كأنها هابطة إليه ؛ وكانت الرياح زعزعاً شديدة ، تميل بالأشجار وتعصف بالغصون ، ولم يكن ثابتاً وسط الرياح إلا صاحبنا بعصاه وضعفه وأحماله ... ولحظ ذلك من نفسه ، وأعجبه أن يلحظه ويفكر فيه ، وعراه شىء من الاعتداد بالنفس ، وازداد حتى ملأه الشعور بقوته ، فجعل ينظر فى عطفيه زهواً وتيهاً ، وجعل يتأمل دخيلته ، ويفكر فى نفسه ؛ من هو ؟ وما هذه الحياة التى يحياها ؟ ...

واشتدت الرياح وعزفت ، ثم صفرت صفيراً ، فلم يبال بها ولم يحفلها ، لأن زوبعة أخرى أشد هولاً قد هبت فى نفسه ... تنطح هذا الحب وتريد أن تنسفه . . فوقف يفكر : لماذا يضيّق حياته بيده ؟ لماذا يعطل فكره وملكاته ؟ أكل ذلك لأنه وجد إنساناً جميلاً ظن أنه يحبه ؟

لتكن جميلة أو قبيحة ، ما شأنه هو بها ؟ ومن قال إنه لا يعيش إلا بها ؟ ماذا كان يصنع قبل أن يعرفها ؟ ألم يكن يعيش ؟ ألم تكن حياته أجمل وأحفل بالعظائم ، وأملأ بالفضائل ؟ هل كان هذا الحب إلا مرضاً عضالاً هد جسمه ومحا مواهبه ، وفل عزيمته ، وأقام بينه وبين الحياة سداً من لحم ودم ؟

يا للسخف ! أيحكم على نفسه بالألم الدائم ، والقلق المستمر ليحظى ذلك الانسان بالسرور والاطمئنان ؟

أيوجب على نفسه الشحوب لأنها موردة الوجنتين ؟ أيختار المرض والهزال لمجرد أنها صحيحة بضة ؟ ...

يا للخجل ! ألا يرى الدنيا إلا فى عينى هذا الانسان ؟ أيقنع من السعادة والمجد والعلم والبطولة والدفء والنور والحياة بابتسامة واحدة ؟

وبدا له الحب كأسخف شىء يكون . . . . . .

* * *

وكانت الدنيا قد استطير لبها ، وجن جنونها ، وهطلت الأمطار سريعة قوية ، تضرب وجهه ... فأحس بالقوة والنشاط ، وجعل ينشق ملء رئتيه ، وتبرق عيناه بريق العزم ، ثم ألقى عصاه وشملته ، ونزع عنه هذه الأحمال من الثياب ... وانتفض وضرب الفضاء بقبضيته ، وصاح صيحة الفرح : قد شفيت !

ثم انطلق نحو الدنيا الواسعة . لم تعد محرمة عليه ، لأنه لم يعد يحب !

(بغداد) على الطنطاوى

(١) أى تميل (٢) قال فى القاموس : خششت فى المكان دخلت !

ما قول علمائنا ؟

الوحدة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر

سمعت المحاضرة التى ألقاها بدار جمعية الشبان المسلمين صاحب السماحة الشيخ عبد الكريم الزنجانى كبير مجتهدى الشيعة ورئيس مجلسهم الأعلى ، وكانت المحاضرة فى الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، فرأيت فيه عالماً كبيراً ، وإماماً مصلحاً ، يندر وجود مثله بين علماء المسلمين فى هذا العصر . ولا غرو أن تنجب بلاد إيران مثله ، فقد أنجبت قبله فى هذا العصر ذلك الحكيم العظيم ، « جمال الدين الأفغانى » موقظ المسلمين من غفلتهم ، وباعث الدعوة الاصلاحية القائمة الآن فيهم ؛ وكأن الله أتى بالأستاذ الزنجانى ليكمل ما بناه قبله الحكيم الأفغانى ، فليسر الأستاذ فى سبيله ، ولينسج على منواله ، فالطريق ممهدة والغاية مرجوة ، والأمل كبير فى النجاح بعون الله تعالى

ولكن كيف تتم الوحدة الاسلامية التى يدعو الأستاذ الزنجانى إليها ؟ وما هو الطريق الموصل إليها حقيقة لا خيالاً ؟ هنا أخالف الأستاذ الزنجانى فيما يراه من قيام هذه الوحدة على إزالة الفوارق بين الطوائف الاسلامية فى الأصول الدينية على الأقل ، وتقريب شقة الخلاف بين هذه الطوائف حتى تنحصر فى الفروع وحدها

فانى أرى أن هذا طريق شائك لا يوصلنا إلى الغاية المطلوبة من هذه الوحدة ، لأن هناك خلافات حقيقية وكبيرة بين هذه الطوائف ، ولا يمكن التقريب بينها فيها ولو بذلنا فى ذلك ما بذلنا ؛ فلا بد من طريق آخر يوصلنا إلى هذه الوحدة غير هذا الطريق ويقوم فيه بناؤها مع قيام هذه الفروق ، وبقاء تلك الخلافات فى الأصول والفروع

فالخلاف بين أهل السنة والشيعة فى عصمة الأئمة خلاف حقيقى ، وهو خلاف فى أصل من أصول الاعتقاد لا فى حكم من الأحكام الفرعية ؛ وأهل السنة يرون أن العصمة صفة خاصة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، أما الشيعة فلا يرون العصمة صفة خاصة بهم ويعتقدون العصمة فى الأئمة من أهل البيت أيضاً ، ولكنهم لا يقولون بأنهم أنبياء أو رسل . وقد تكلف الأستاذ الزنجانى إزالة الفرق بين أهل السنة والشيعة فى هذا الاعتقاد ، فقال ما مؤداه إن عصمة النبيين تختلف عن عصمة الأئمة عند الشيعة ، وأنها فى الأئمة معناها العدل والثقة ، ونحن إذا وثقنا من رجل فى علمه ودينه وعمله استبعدنا أن يقع منه خطأ أو مالت نفوسنا إلى استبعاد وقوع هذا الخطأ منه ؛ أما عصمة الأنبياء فلها معناها الحقيقى ، فهم معصومون عن كل خطأ ، والفرق ظاهر فى التقديرين وفى الحكمين . وإنى أرى أنه لو كان هذا هو المراد من عصمة الأئمة لما كان هناك معنى فى تسميتها عصمة ، ولكان شأن الناس فيها كشأن الأئمة من أهل البيت وهو ما لا يقول به الشيعة

وكذلك الخلاف بين أهل السنة والشيعة فى خلافة الشيخين « أبى بكر وعمر » خلاف حقيقى ، وله قيمته عند الفريقين

ويضاف إلى هذا وذاك أن الشيعة فى أصول الاعتقاد يتفقون فى كثير منها مع أئمة المعتزلة ، ويخالفون أهل السنة ، كمسألة نفى الصفات وغيرها من مسائل علم الكلام ، وهذه كلها خلافات يصعب إزالتها ، فلا يصح أن نطمع فى بناء الوحدة الاسلامية على محوها

وإنما الواجب فى ذلك أن نقبل هذه الخلافات فى ديننا ، وأن تتسع لها صدورنا ، وأن نجعل الخلاف فى مثل هذه الأصول مثل الخلاف الذى نقبله فى الفروع ، فاذا قال الشيعة بعصمة الأئمة فلهم فى هذا رأيهم ، ما داموا يقولون إنهم أئمة معصومون ، وليسوا بأنبياء ولا برسل ؛ وإذا قال الشيعة إن عليا رضى الله عنه كان أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأنكروا خلافتهما فلهم فى هذا أيضاً رأيهم ، ولنا رأينا فى أن خلافتهما خلافة صحيحة

وليقم الجدال فى هذا وأمثاله بين الطوائف الاسلامية على الاقناع بالحجة النقلية أو العقلية ، ولنبعد فيه عن التغالى فى التعصب للرأى ، والطعن فى الدين والعقيدة ، والرمى بالالحاد والكفر ، ولنجعل الخلاف فى الرأى أداة تواصل وتعارف ، لا أداة تقاطع وتجاهل ، وليقم الخلاف بيننا على أنه خلاف بين أخوين فى الدين ، يجمعهما كلمة الاسلام ، وتظلهما راية التوحيد ، وقد امتاز الاسلام على غيره من الأديان بما سنه من سنة الخلاف

فى الرأى ، فقال الله تعالى فى سورة هود (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم للمجتهد إذا أخطأ أجراً واحداً ، فاذا أصاب فله أجران ، ولم يفرق فى هذا بين أصول وفروع ، بل أطلق الأمر إطلاقاً ، وفتح باب الاجتهاد فى الأصول والفروع معاً

وهذا هو الأساس الصحيح الذى لا يمكن أن تقوم على غيره تلك الوحدة المطلوبة ، أما ذلك الأساس الذى يراد بناؤها عليه فلا يمكن تحقيقه أبداً ، لأن الخلاف فى الرأى سنة طبيعية فى الإنسان ، وعلى هذا مضى أمره منذ الخليقة ، وسيمكث عليه إلى ما يشاء الله تعالى

ولا بد أن أشير فى هذه الكلمة إلى أنه لابد فى تحقيق تلك الوحدة من قبر ذلك الماضى القائم على التدابر والتقاطع ، ولا يمكن قبر هذا الماضى إلا بقبر هذه الكتب المتدابرة المتقاطعة ، وهى الكتب التى يدرسها أهل السنة فى الجامع الأزهر بمصر ، والكتب التى يدرسها الشيعة فى معهد النجف الأعلى بالعراق ؛ وقد أخذت النفوس فى الأزهر هذه السنة تحن إليها ، وتعمل على إعادة كثير منها ، وتمدح مماحكاتها اللفظية الساقطة ، وتنسى ما جلبت من الشقاء على الاسلام والمسلمين ، وأنه بينما كانت كل قوانا الفكرية مصروفة إلى ألفاظها ، كانت قوى غيرنا مصروفة إلى حقائق الأشياء ومعانيها ، فنجحوا فى علومهم دوننا ، وتقدموا وتقهقرنا ، ولم تنفعنا هذه المماحكات اللفظية التى برعنا فيها . ولابد أن أشير أيضاً إلى أنه لا يكفى فى تحقيق تلك الوحدة أن يزور الأستاذ الزنجانى الأزهر والكليات التابعة له ، ثم نبادله فى معهد النجف الأعلى زيارة بزيارة ، بل لابد من الاعتراف فى الأزهر بفقه الشيعة ودراسته فيه كما يدرس فقه أهل السنة ، ويكون هذا بندب أستاذ لدراسته فى الأزهر من أساتذة معهد النجف الأعلى ، كما يجب أن يعترف الشيعة بفقه أهل السنة ، ويدرسوه فى معهدهم كما ندرس فقههم فى أزهرنا ، ويكون هذا بندب أستاذ من أساتذة الأزهر لدراسة فقهنا عندهم ، فيتم بهذا التعارف بيننا وتزول تلك الجفوة المقوتة ، وتتحقق تلك الوحدة المطلوبة

عبد المتعال الصعيدى

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

مدير مصلحة الكيمياء

— ٣ —

إن العلم يجب أن يكون حراً طليقاً يبحث فى العالم المجهول حيث شاء وأين وقع . هكذا تقول أنت ، وهكذا كنت أقول ياسيدى ، ومن أجل جهرى بهذا الرأى وإعلانى إياه بصوت غير خافت ساء ما بينى وبين قوم ذوى نباهة وسلطان . كلانا مخطىء ياصاحبى فى زعمه ! وشاهدُنا إسميثُ الذى نحن بصدده . بدأ عمله مستمتعاً بحرية لا تزيد إلا قليلاً على حرية كاتب حكومى صغير ، ووجب عليه ألا يبحث إلا فى أشياء يمليها عليه الدكتور سلمون ، وهذا بدوره إنما استُخدم ليوجّه إسميث إلى حل معضلات أعجزت المزارعين وأرباب المواشى . فالثلاثة جميعهم — سلمون وكلبورن وإسميث ، وكذلك اسكندر ، وليس بنا عنه غنى — كل هؤلاء دفعت السلطات إليهم أجورهم كما تدفعها إلى فرقة المطافىء ، وانتظرت منهم مثل الذى تنتظره من فرقة المطافى : أن ينهضوا كرجال الحريق كلما اشتعلت عدوى المرض فى الخنازير والعجول والثيران والخرفان فيوجهوا إليها خراطيمهم فيندفع منها العلم اندفاعاً حتى تنطفىء فيعود البرء والسلام إليها . وكان أصحاب الماشية فى هذا الوقت قلقين قلقاً شديداً من جراء مرض غريب يُدعى بحمّى تكساس(١)

كانت الأقطار الجنوبية تستورد أبقاراً من الشمال ، فتُساق هذه الأبقار السليمة من القُطُر الحديدية إلى المراعى فتنساب فيها فتختلط بأبقار الجنوب وهى جدّ سليمة ، فيمضى الشهر أو الشهران على خير ، ثم فجأة تظهر الوافدة الخبيثة فى هذه الأبقار الشمالية الجميلة فلا تلبث أن تعاف الطعام ، ويصيبها الهزال فتفقد فى اليوم الواحد أرطالاً من وزنها ، ويجرى بولها أحمر

(١) تكساس ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية فى أقصى جنوبها

غريباً ، وتقف حائرة متقوّسة الظهر حزينة العين ، ثم لا تمضى أيام قليلة حتى تكون كل بقرة قد سقطت سقطة الاعياء ، ثم ترقد على الأرض رقدة الموت ، وقد تصلبت أرجلها ، واستترت بجسومها الباردة المديدة أرض الحقول . وحدثت هذه المأساة عينها عند ما استورد أهل الشمال من الجنوب عجولا ، فلما رعت هذه العجول فى الحقول وتزحت عنها ، وحلّ محلها قطعان من بقر شمالىّ ، لم يمض على هـذا البقر ثلاثون يوماً أو نحوها حتى أخذ يموت ، ولم تمض عشرة بعد أيام ذلك حتى عمّه الموت

أى موت غريب هذا الذى حملته الأبقار الجنوبيـة الى الحقول الشمالية دون أن تصاب هى به ، فاختبأ بعـد ذلك فى مخابىء الأرض يتربص لأبقار الشمال ليذيقها عذاب الموت ألواناً ؟ وما السر فى أنها إذا طلعت على هـذا الموت المخبوء لا يبادرها بالهلاك بل يتمهل شهراً أو يزيد ؟ وما السر فى أن هذا الهلاك لا يحيق بها إلا فى أشهر الصيف الحرار

وثارت ثائرة الأمة[1] كلها من أجل هذا ، وساءت العلاقة بين أصحاب البقر فى الشمال وأصحاب البقر فى الجنوب . وهاجت مدينة نيويورك[2] وارتاع أهلها لما جاءت الأنباء بموت مئات من الأبقار فى القُطُر التى كانت تحملها من الغرب اليها لتغتذى من لحومها . وتحرج الموقف ، وصار لابد من عمل شىء ، فنهض الأطباء الفخام فى مصلحة الصحة للمدينة العظيمة وأخذوا فى البحث عن المكروب الذى سبّب هذا الداء . . .

وكان فى الغرب طائفة من البقّارين كسبوا الحكمة من طول تربيتهم للبقر ، فخالوا لهذا الداء علة أوحيت اليهم إيحاء من خلل الدخان المتصاعد من نراجيلهم وهم يتأسّون بتدخينها فوق الجثث المركومة التى أضاعوها بسبب هـذا الداء . خالوا فى شىء من الابهام أن هذه الحمّى التكساسية تسببها حشرة تعيش على جلد البهيمة وتمتص دمها ، وأسموا هذه الحشرة القرادة tick[3]

وضحك الأطباء العلماء فى مصلحة الصحة بالمدينة العظيمة ، وضحك منهم كل بيطرى ممتاز فى المحطات التجريبية الحكومية . قرادة تقدح حمى ! حشرة تخلق داء ، من ذا الذى سمع بهذا أبداً ! وأى علم يرضاه ؟ إنها حماقة بالغة ! وقال الدكتور جامجى Gamgee وهو عمدة فى الموضوع معروف : إن تفكيرا يسيراً قصيراً يقنع كل أحد بسخافة الفكرة . وكان قائماً قاعداً فى بحث حمى تكساس ، ولكن لفظة القُراد لم تخرج من فيه أبداً . وكان العلماء فى كل نواحى القطر قائمين فى تقطيع أجسام الأبقار النافقة وكانو يجدون البشلات فى بطونها ، ولكنهم لم يستخرجوا منها قرادة واحدة ! قال أحدهم : إن روث البهائم[1] ينشر بينها الحمى ، فقال الآخر : إنك مخطىء ، بل إن اللعاب ينقلها . وهكذا تعددت النظريات بتعدد الباحثين ، وظلت الأبقار تموت وهم يختلفون

— ٤ —

وفى عام ١٨٨٨ كلّف الدكتور سلمون رجاله الثلاثة أن يتوفروا على بحث الحمى التكساسية ، فوضع اسميث فى القيادة يعاونه كلبورن ، ثم اسكندر ينظف من ورائهما . وطلب إليهم « أن يكتشفوا الجرثومة » ، ولم يذكر لهم شيئاً عن القراد . ولم يأتهم فى هذا العام من البقر غير أربع من الأكبدة ومثلها من الأطحلة ، جاءتهم فى الثلج فى جرادل من ڤرچينيا Virginia وماريلاند Maryland [2] إلى غرفتهم فى ذروة البناء وهى كالفرن فى حرارتها

وكان لدى اسميث حسّ لم يكن لدى سائر البحّاث ، فحرّر مكرسكوبه على قطع من الطحال الأول فرأى فيه مكروبات كثيرة عديدة الأنواع . واقترب بأنفه منها فتجمّد من سوء ما أحسّ من رائحتها . فقد كانت فاسدة

عندئذ قام يرسل الرسائل فوراً إلى البقّارين أن ينتزعوا أحشاء البقر عقب موته بلا تريّث ، وأن يرسلوها اليـه فى الثلج ، وأن يعملوا على تقصير ما تستغرق من الوقت فى سفرها . وأنفذوا ما أراد . ونظر فى الأطحلة لما جاءته فلم يجد بها مكروبة واحدة ، ولكنه وجد بها عدداً كبيراً من خلايا الدم الحمراء قد انفقع لغير سبب ظاهر ، قال : « إن هـذه الخلايا انفقعت

(١) الأمة هى الولايات المتحدة الأمريكية
(٢) تذكر أن نيويورك تقع من الولايات المتحدة فى شمالها الشرقى
(٣) القراد دويبة تتعلق بالبعير ونحوه وهى كالقمل للانسان

(١) مانتفوطه
(٢) ماريلاند وفرجينيا ولايتان من الولايات المتحدة على المحيط الأطلسى جنوب ولايتى نيويورك وبنسلفانيا

فتحطمت بفعل فاعل » ، ولكنه لم يجد مكروباً ، وكان لا يزال حَدَثاً ، وكانت به سخرية الشباب ، وكانت به قلة اصطبار واحتمال للبحاث الذين لا يَقْدرون على التفكير العميق والتركّز الشديد

وكان رجل يُدعى بيلينجس Billings ادّعى فى سخافة أنه رأى بشلة عادية فى كل جزء من جثة كل بقرة فحصها ؛ وفى كل ركن من أركان الزريبة ، حتى فى أكوام روثها ، ونسب إلى هذه البشلة حمّى تكساس ، ونشر عن ذلك مقالاً قال يفتخر فيه : « إن شمس البحوث الأصيلة فى الأدواء تحوّل مطلعها من الشرق إلى الغرب [1] »

قرأ إسميث هذا المقال فقال : « تلك لعمرى طنطنة الفخور الغالى » . وعقّب على هذا ببضع جمل قصيرات قاسيات نال بها شر منال من هذا العبث الذى يُدعى علماً . واستيقن أن لا فائدة من الجلوس فى معمل مهما كثرت خنازيره الغينية ، وترصصت زاهيةً بارقةً محاقنه ، ما دام أن الباحث لا يصنع فيها إلا التحديق فى أكبدة وأطحلة من جثث بقر نالها الفساد إن قليلاً وإن كثيراً ، وأراد أن يسلك السبيل السوى ، سبيل التجريب الصادق ؛ أراد أن يدرس الداء فى البهائم الحية ، أراد أن يدرسه فيها وهى تلفظ آخر أنفاسها ، أراد أن يتتبع الطبيعة فى خطواتها . وجاء صيف عام ١٨٨٩ فأخذ يتجهز له . وذات يوم أخبره كلبورن Kilboren بخبر تلك النظرية الخرقاء التى يتحدث بها البقارون ، تلك النظرية التى تعزو الداء إلى قُراد البقر

عندئذ أرهف إسميث آذان عقله ، لو أن للعقل آذاناً :

« إن البقّارين الذين يعيشون مع البقر ، ويخسرون البقر إذا مات ، ويرون من هذه الحمى الخبيثة أكثر مما يرى البحاث ، هؤلاء البقارون هم الذين يقولون بهذه النظرية ! »

وُلد اسميث فى المدينة ، فهو ابن المدينة لا ابن الريف ، ومع هذا فقد كانت تستهويه نفحات الحشيش وهو يُحَشّ ، وأخاديد الحقل الدكناء وهو يُفلَح . وكان يؤمن بتلك الجمل القصيرة القَلْمة التى ينطق بها الفلاحون عن الجو وعمّا تنبت الأرض ، وكان يرى الحكمة فيها وأنها الحق أو أقرب ما تكونه . كان إسميث ضليعاً فى الرياضيات عارفاً باختزالاتها البديعة ، وهى علوم يجهلها كل الجهل هؤلاء الرجال الذين اصطنعوا الأرض واحترفوا فلاحتها . وكان كذلك ضليعاً خبيراً فى كل تلك العلوم التى تتمثل فى المجاهر والأنابيب والخرائط وبريق المعامل ، ملمّاً بكثير من فنون العرفان الدنيوى الصناعى المزوّق الذى درج على احتقار الحكمة تجرى على ألسن العامة ، والسخرية بسذاجة الفلاح وبساطة حاله . ولكنه مع كل هذه الدراسات الواسعة لم يأذن للأبنية الفخمة والمعامل البديعة وأجهزتها المعقدة أن تعكر عليه فكره الرائق ، أو تتنفس على مرآة ذهنه الصقيلة ، وهذا فيمن نشأ نشأته غريب نادر . وكان دائم الشك لكل ما يحصّله من الكتب ، دائم الريبة فى كل ما تريه الأنابيب ... ونظر إلى أشد الفلاحين جَلَفاً واخشيشاناً ، وأحصرهم وأعقدهم لساناً ؛ حتى إذا أمسك بيبته — وهى من قلاح الذرة — فأخرجها من قبضة أسنانه — وقد تكون صفراء قَلِحة قذرة — فهمهم كالرعد بالمثل الريفى المشهور : « شآبيب ابريل تنبت زهور مايو » ، سقط هذا القول من فم هذا الفلاح إلى قلب صاحبنا كأنما سقط من شفة حكيم أريب

واستمع إسميث إلى كلبورن وهو يتحدث حديث النظرية السخيفة ، وأكّد له كلبورن أن البقّارين فى الغرب يكادون يجمعون على أن القراد أصل البلاء ، ثم أخذ يفكر مليّاً : « رؤوس هؤلاء البقارين خالصة من زخارف المنطق ومفسدات الفكر ، وإن أجسامهم لتتفاوح منها روائح الثيران والعجول كأنهم بعضها ، وهم هم الذين سهروا الليالى وقد تركّزت فكرتهم على الداء وهو يجرى بالفناء فى عروق بهائمهم فيحيل دمها الثخين ماء رقيقا ، وينتزع لقمة الرزق من أفواه أبنائهم وعيالهم ، وهم هم هؤلاء الذين قاموا على دفن هذه البهائم الضائعة بعد موتها . فهؤلاء الفلاحون هم الذين يقولون فى نَفَس واحد : « لا حمّى حيث لا قُراد »

فارتأى إسميث أن يتّبع الزراعين ، وأن يراقب الداء عن كثب مراقبة البقارين ، وتلك طريقة مستجدّة فى صيادة المكروب : اتباع الطبيعة والتدخل فيها بالحيلة الهيّنة القليلة ...

---

(١) لعله يقصد من أوروبا إلى أمريكا

وجاء صيف عام ١٨٨٩ واشتد حره ، فذكر الناس خسائرهم الماضية ، وذكروا شكاواهم المرة التى كانت ، فكان لابد من عمل شيء . وأحست الحكومة كذلك بالحاجة الى عمل حاسم ، فاعتمدت الوزارة للبحث مبلغاً طيباً من المال ، وقام الدكتور سلمون بادارة البحث المطلوب . ومن حسن الحظ أنه لم يعرف إلا القليل عن التجارب والتجريب فلم تقم إدارته عقبة فى سبيل إسميث أبدا

— ٥ —

وفى منطقة منعزلة بعيدة أقام إسميث معمله ، وأعانه كلبورن فى إقامته . وما بالمعمل المعهود كان ، فلم يحده سقف وأربعة أركان ، بل كان سقفه السماء الحارة ، وكان حجراته خمسة أو ستة من الحقول تسوّرت عن بقية الأرض بسور . وفى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٩ جاءت سفينة فخرجت منها الى المعمل سبع بقرات نحيفة بعض النحافة ولكنها صحيحة سليمة . وجاءت هذه البقرات من كَرُلينة الشمالية (١) وهى بؤرة الحمى التكساسية ومقبرة كل بقرة تدخلها من الأقطار الشمالية . وكان على ظهور هذه البقرات بضعة ألوف من القُراد ، منها الصغير الذى لا تراه إلا بالمجهر ، ومنها أُنثيات عظيمة تبلغ نصف بوصة طولاً ، قد انتفخت مما امتلأت بالدم الذى شربته من الجسم المعذب المنكود الذى أضافها غيرَ مختار

فساق إسميث وصاحبه كلبورن الى الحقل الأول أربع بقرات من هذه ، وأدخلوا معها ست بقرات شمالية سليمة . قال إسميث : « والآن فلن يلبث القراد أن ينتقل الى هذه البقرات الشمالية ، وهى لم تعرف قط ما الحمى التكساسية ، فهى لا تعرف ما الحصانة منها ... » ثم قال : « والآن فلننهض الى حيلة يسيرة لنعرف أحقاً هذا القراد سبب الحمى »

وأنفذ حيلته الأولى — أو إن شئت فأسمها تجربته الأولى — وما كانت إلا تجربة قليلة ، كان فى استطاعة أى بقّار ذكيّ أن يبتدعها لو أنه فرغ من عمله الكثير للتفكير . أما سائر العلماء الامريكيين فعدوا هذه التجربة من السخف بحيث لا تستأهل محاولة . وبالرغم من هذا قام إسميث وكلبورن فأجرياها ، فأخذا يلتقطان بأيديهما ما على ثلاث البقرات الجنوبية الباقية من قُراد فلا يفلتان منه واحدة ، وأخذ البقر يرفص ويضرب فى وجههما بذيله ، واحتر الجوّ فعلت درجته على السابعة والثلاثين ، وارتفع تراب الأرض برفص البهائم فانعقد سحباً فوق الرجلين وحولهما ، وامتزج بالعرق على جبهتيهما فتعجّن وتلصّق . واحتل القراد من جلود البقر موضعاً تحت شعورها المتلبّدة ، وخرج صغاره من اللبَد فما أحس بأنامل اللاقطين وهى مجهودة تتحسّس حتى انكفأ راجعاً يجد له فى مسارب الشعر مهربا . وتلك القرادات الكبيرة ، تلك الأنثيات التى جرَعت من الدم حتى انتفخت ، كانت لا ترضى أن تُنتزَع فتتعلق بجلد البقر ، فاذا شدّت عليها أنامل اللقّاط انفقعت فتبجس دمها ولوّث

ولم ينقض النهار حتى خلصت البقرات الثلاث من القُراد جميعه ، فلم تكن لتجد على جلدها قرادة واحدة ، فوضعاها فى الحقل الثانى ، ووضعا معها أربع بقرات شمالية صحيحة ؛ ثم قالا : « هذا البقر الشمالىّ على تمام الاستعداد لأخذ الحمّى والموت بها لو تهيأت اليه أسبابها ؛ وقد وضعناه الآن مع هذا البقر الجنوبى على أرض واحدة ، فسيأ كل الجميع حشيشاً واحداً ، ويشرب الجميع ماء واحداً . وهذا البقر الجنوبى سيحك أنوفه فى أنوف الشمالىّ ، وسيتشمم رَوْثه ، ولكنه لن يستطيع أخذ قرادة واحدة منه . إذن فلنصبر لنرى ما شأن القراد والحمى ! »

وصبرا على القلق والحرّ شهرين : يوليو وأغسطس ، تسلى فيهما إسميث بدراسة القراد دراسة واسعة ، أعانه فيها خبير فى الحشر حكومىّ يدعى كُوبَر كِرْتيس Cooper Curtice . فدرسا معاً حياة القراد وأعماله وأحواله ، فاكتشفا كيف يتساق طفل القراد وله ست أرجل ظهرَ البقرة ، وكيف يرتبط بجلدها ، فلا يقع من على ظهرها ، وكيف هو يمص من دمها بعد ذلك ، وكيف ينسلخ من جلده ثم يزيد فى أُبّهة إلى أرجله الست رجلين فتصير ثمانية ، ثم هو ينسلخ من جلده مرة أخرى ، واكتشفا كيف

(١) ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية تقع على المحيط الأطلسى جنوب ولاية ڤرجينيا وإنما أسميت بالشمالية تميزا لها عن ولاية كرلينة الجنوبية التى تقع جنوبها

أن الأنثى من بعد ذلك تتخذ لها زوجاً صغيراً تتزوجه على ظهر البقر ، ثم كيف تجرع بعد ذلك من دم البقر جرعات عظيمات كأنها وليمة العرس ، فاذا هي استكملت أنوثتها سقطت إلى الأرض لتبيض فيها ألفي بيضة أو تزيد ؛ وعندئذ ، وبعد ما لا يزيد على عشرين يوماً من تسلقها رجل البقرة في أول مرة ، تكون قد أدّت رسالتها في هذه الحياة الدنيا فتأخذ تنضمر ثم هي تموت . أما الألفان من البيض فتبدأ فيها سِيَرٌ وأحداث غريبة أخرى

وكان إسميث لا يفوته السفر إلى معمله في العراء البعيد يوماً واحداً ، وكان يجد رَوْحه في الخروج من المدينة وترك معمله المعهود في تلك الحجرة الكابسة الحابسة هرباً من صراصيرها ولو إلى تلك الحقول وهي تكاد من الحر تتقد ناراً ، وكان كلبورن قوّاماً على معامل الحقل ، وهو الذي طلب الرزق بعد ذلك من تجارة الصيني والفخّار . وكان إسميث يدخل الى الحقل الأول ليرى هل ظهر القراد على أي من البقرات الشمالية ، وليرى هل زادت حرارتها وأخذت رقابها تميل . ثم هو يخطو من بعد ذلك إلى الحقل الثاني ليلتقط من على ظهور البقرات الجنوبية التي فيه بضع قرادات ظهرت عليها ، وما كان أقلها في لقطه الأول ، ولكنها كانت عندئذ صغيرة لا تُرَى . وما كان تنظيف البقر من القراد والتيقّن منه إلا عملاً ثقيلاً مجهداً . والحق أن تلك الأيام التي صبراها على الحر والعرق لم يكن فيها إلا السأم امتد واتصل ، حتى جاء يوم بعد منتصف أغسطس بدأت تطلع البشائر فيه . ففي هذا اليوم ظهر القراد على بقرة من البقر الشمالي في الحقل الأول ، ولم يمض طويل حتى تقوس ظهرها وعافت الطعام . ثم ظهر القراد على كل أخواتها ، واتقدت الحمى فيها جميعاً ، وخفّ دمها فصار كالماء ، وشفّت أضلاعها وبرزت في الجوانب عظامها . والقراد ؟ رحماك فقد كان يموج عليها موجاً

هذا هو الحقل الأول . أما الحقل الثاني حيث لا قراد ، فقد ظلت البقرات الشمالية فيه صحيحة سليمة كصاحباتها الجنوبية التي اختلطت بها

(يتبع)

أحمد زكي

بحث لغوي

كلمة « قرآن »

بقلم محمد طه الحاجري

للقراء في أداء كلمة قرآن طريقان : تحقيق الهمزة فيها ، وإهمالها منها ؛ فبعضهم يقرؤها « القران » وبعضهم « القرآن » والقراءة غير المهموزة تنسب إلى إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين[1] قارئ أهل مكة في زمانه ، وآخر أصحاب ابن كثير زمانا ، كما يقول عنه الذهبي في كتابه «طبقات القراء المشهورين» وقد روى عن أبي عبد الله الشافعي قوله في هذا الصدد ، قال : « قرأت على إسماعيل وكان يقول القرآن اسم وليس بمهموز ، ولو كان من قرأت كان كل ما قرئ قرآنا ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والانجيل ، تهمز قرأت ولا تهمز القرآن » وكذلك روى صاحب اللسان مثل هذه الرواية ، وزاد عليها تزكية لها وإعلاء لسندها النسب الذي يصل قراءة اسماعيل بالقراءة الأولى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « قال اسماعيل قرأت على شبل ، وأخبر شبل أنه قرأ على عبد الله بن كثير ، وأخبر عبد الله أنه قرأ على مجاهد ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس رضى الله عنهما ، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبيّ ، وقرأ أبيّ على النبي صلى الله عليه وسلم » ، وبعد أن أورد ابن منظور هذا القول روى عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال : « كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن ، وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير » فهذه إذن قراءة معتبرة لا شك في صحتها وقوة سندها

ولكن عبارة القسط ينظر إليها من ناحيتين : ناحية الرواية وناحية الدراية أو التعليل ، أما الأولى فلا كلام لنا فيها ، وأما الناحية الثانية فقد نازعه فيها كثير من العلماء الذين أورد الفخر الرازي أقوالهم ، فقد قال الزجاج عن قول اسماعيل هذا إنه سهو والصحيح أن ترك الهمزة من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فكأنه يرى أنها مشتقة من مادة قرأ ، وأنها تساوي كلمة قرآن المهموزة ، إلا ما كان من هذا التخفيف الذي تجيزه اللغة وتخضع له ، ولا يغير شيئاً من أصول الكلمات فيها

على أن هذا التخفيف كثير شائع مطرد في كثير من القراءات التي ترجع إلى أهل الحجاز لما في طبيعة نطقهم وميلهم اللغوي ، وهاك ما يقوله ابن الجزري في كتابه : « النشر في القراءات العشر » : « ولما كان الهمز أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا ، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف كالنقل والبدل وبينَ بينَ والأدغام وغير ذلك ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح ، وكنافع من رواية ورش وغيره ، وكأبي جعفر من أكثر رواياته ، وكابن محيصن قارئ أهل مكة مع ابن كثير وبعده ، وكأبي عمرو فأن مادة قراءته عن أهل الحجاز »

وهذا صريح جلي في بيان قول الزجاج وصحة مذهبه ، وأن اسماعيل بن قسطنطين قد غاب عنه المنحى العربي اللغوي في مثل هذا ، فذهب يلتمس التعليل المنطقي ويقول : « لو كان من قرأت كان كل ما قرئ قرآناً » كما غاب عنه أيضاً أن الاصطلاح من طبيعته أن يحدّ من مدلول الكلمة المصطلح عليها

وذهب آخرون إلى تلمس اشتقاق لها في مادة « قرن » باعتبار أن الكلمة على أصلها لم تعان شيئاً من الابدال والاعلال : فقال قوم إنها مشتقة من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسمى به لقران السور والآيات والحروف فيه ، ونسب إلي الفراء القول بأنها مشتقة من القرائن لأن الآيات يصدق بعضها بعضاً ويشابهه

هذا مجمل الآراء في تعليل كلمة قُران بغير همز . أما القراءة الأخرى المهموزة فاختلف كذلك في اشتقاقها على قولين أو ثلاثة

فابن جرير الطبري يروى رأيين في هذا ، أحدهما عن ابن عباس ، والآخر عن قتادة ، أما الأول فيذهب إلى أن القرآن مصدر من قول القائل : « قرأت » كقولك الخسران من خسرت والغفران من غفر الله لك ، والكفران من كفرتك ، والفرقان من فرق الله بين الحق والباطل — ولم يتعرض الطبري لرواية قراءة ابن عباس لها ، وإن كان مساق القول في المهموزة ، لكن ذلك لا يعتبر نصا ؛ وإنما تعرض لاشتقاقها . وقد رأينا من كلام

(١) ويلقب في كتب طبقات القراء بالقسط ، كأنه تعريب اسمه

اسماعيل بن قسطنطين أن سند قراءاته يتصل بابن عباس ؛ فكأن ابن عباس كان يقرؤها مخففة ، ويعلم أنها مخففة عن تحقيق ، كما رأى ذلك الزجّاج فيما سبق بيانه[1]

أما رأى قتادة فهو أنها مصدر من قول القائل : « قرأت الشيء » إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، كقولك ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، أى لم تضمم رحما على ولد قط . كقول عمرو بن كلثوم :

ذراعى عيطل أد ماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

أما الرأى الثالث فيرويه السيوطى فى كتاب الاتقان عن الزجاج . فهو يرى أنه مشتق من القرء بمعنى الجمع . ثم هو لا يعتبره مصدراً — كما روى عن ابن عباس وقتادة — وقد سمى به الكتاب المقروء ، وإنما يعده وصفاً على فُعلان

وقد وقف الطبرى بين رأيى ابن عباس وقتادة ، ثم أخذ يرجح الأول على الثانى بأنه يتمشى مع تأويل قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » على الأصل الثابت المقرر فى الدين ، إذ لو كان القرآن هنا بمعنى الجمع والتأليف لما لزم الرسول صلى الله عليه وسلم فرض « اقرأ باسم ربك » ولا فرض « يأيها المزمل » ولا غيرهما من آى القرآن الكريم قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن

وهذا توجيه وجيه استطاع ابن جرير أن يملك به على خصمه الحجة فى أسلوب منطق حاسم

ونحن إذا أجزنا لأنفسنا أن ندخل فى هذا النزاع ، وندلى برأينا فيه ، اتخذنا لأنفسنا مسلكا غير ذلك المسلك ؛ فقد نستطيع أن ننظر إلى المسألة من ناحية فنية محضة ، نلتمسها فى القرآن نفسه ؛ وحينئذ نلاحظ أن كلتى القرآن والقراءة تزدوجان فى كثير من آى الكتاب الكريم ، فأولى أن تكون كلمة « القرآن » مشتقة من القراءة لا من القرء ، قال تعالى :

« وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا » . «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» . «إن علينا جمعه وقرآنه» « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا» « فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »

وقد تقترن بكلمة القرآن كلمة التلاوة فى نحو قوله تعالى :

« وما تكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن » . « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله »

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تشير إلى أصل كلمة قرآن إشارة نحسبها كافية فى مثل هذا المجال

ثم إن تسمية القرآن بالذكر وبالكتاب تشير إشارة ما إلى هذا الأصل أيضاً ، وحسبنا هذا

فاذا انتقلنا من مادة قرآن إلى صيغتها رأينا المتقدمين يختلفون فيها : هل هى مصدر أو وصف على فُعلان . وأيا كان الوجه فلا شك أنها قد تركت المصدرية أو الوصفية وتمحضت للاسمية المحدودة ، علما على ذلك الكتاب المقدس

ولكن بعض المستشرقين مثل شفللى Schwally وفلهوزن Wellhausen يعارض فى عربية كلمة « قرآن » ، ويرى فيها كلمة « قريانى » السريانية ، وهى بمعنى القراءة أو القرء ، ويقوى هذا الفرض لديهم مقاربة الكلمة السريانية للكلمة العربية فى الصيغة ولكن هذه المقاربة أو المشابهة لا قيمة لها ، لأن فى العربية كثيراً من المصادر على وزن فُعلان مثل رجحان ونقصان وغفران وكفران وخسران وغير ذلك مما هو عربى صريح مادة وصيغة ، فأى شيء يلجئنا إلى مثل هذا الفرض ؛ ألأن السريانية لغة الانجيل ... ؟

قد لا نمنع أن يكون الكتاب الكريم قد استحدث كلمة « قرآن » استحداثا ، وليس هذا الاستحداث بالأمر الغريب فى اللغة . بل ربما لم نجد بدا من فرض ابتداع القرآن الكريم لهذه الكلمة ، ما دامت نصوص اللغة الجاهلية الصريحة النسبة الى ما قبل الاسلام قليلة نزرة لا تمدنا بالدلائل العلمية الكافية القاطعة . ولكن إذا كان كتاب الله قد استحدثها فذلك من أصل عربى وعلى نحو عربى . وقد لا يكون ذلك النحو شائعاً فى اللغة كثير السريان فيها كغيره من الصيغ ، ولكنه فى حقيقة الأمر موسيقى مرنان ليس أجدر منه أن يكون اسما وعنوانا لذلك

(١) غير أن الزجاج يخالف ابن عباس فى المصدر المشتقة منه كلمة قرآن كما ستعرف

الكتاب الخالد . وقد قصد الى تقرير ذلك الاسم فى الأذهان إذا كان ذلك من الأمور الخطيرة فى الدعوة ، ولذلك كرره أكثر من ستين مرة على أساليب متنوعة ، وفى مواضع مختلفة ، ومناسبات شتى

لقد كان أساس الدعوة الى الدين الجديد هو القرآن ، ولاسيما فى العهد المكى ، فلا جرم كان تقرير اسمه أمراً جديراً بالعناية فكان كثير التكرار كما قلنا ، وهذه الكثرة واضحة وضوحا تاما فى العهد المكى ، دون المدنى الذى لا نكاد نقرأ فيه كلمة (القرآن) فى أكثر من خمسة مواضع ، وقد كان المقتضى لذكرها فى بعض هذه المواضع مجرد السياق الذى لابد منه كما فى آية سورة التوبة : « . . . وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن » أو سبب النزول كما فى آية سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » — على حين نرى فى إحدى السور المكية الظاهر فيها أسلوب الدعوة الحارة المفتنة ، والجدل القوى الغلاب ، وهى سورة الاسراء ، أن كلمة القرآن تكررت فيها نحو ثمان مرات . والفرق بين العهدين ظاهر ، ففى العهد المدنى كان اسم « القرآن » قد ثبت وتقرر وأخذ ذلك المعنى المحدود فلم تعد الحاجة ماسة الى تكراره وإشاعته ، كما فى العهد المكى

إن قول المستشرق فى إنكار كلمة « قرآن » يرجع — فيما أحسب — الى أصلين : أحدهما قولهم فى القرآن إنه يصدر عن أصول أجنبية كالتوراة والانجيل ، فمن هنا لا يرون بأسا فى أن يكون القرآن قد استعار عنوانه من هذه المصادر أو من اللغة التى كتبت بها ، ولاسيما إذا عُزز هذا الأصل الثانى المقرر لديهم وهو عدم ورود كلمة قرآن فى نص جاهلى ، وبعد الذى تقرر من صيغة فعلان صيغة عربية صريحة لا يكون لهم إلا إنكار مادة قرأ بمعنى القراءة فى اللغة العربية الخالصة L'arabe pur ، وقد يكون لهم عذرهم فى هذا ، فأن من العسير حقاً أن نعثر فيما بين يدينا من النصوص الجاهلية على مادة القراءة ، وإنى أقطع بأن هذه المادة لم تجئ فى المعلقات العشر ، وإنما وردت كلمة « تقرأ » فى بيت عمرو بن كلثوم على رواية أبى عبيدة ، ولكن هذا من واد آخر

ولكن هبه صحيحاً أن مادة القراءة لم ترد فى نص جاهلى آخر ، فهل يدل هذا دلالة قاطعة على عدم وجود الكلمة فى اللغة ؟ إنما يكون هذا لو أن الأدلة انحصرت فى النص وحده ، وليس النص هو كل شئ ، فالوقوف عنده يؤدى بنا من غير شك إلى الخطأ فى الاستنتاج

لم تكن العرب قبل الاسلام أمة كتلك الأمم التى تعيش فى حالة أولية ، وإنما كانت أمة تجارة تتعامل بتجارتها مع أمتى التاريخ الكبريين : الفرس والروم على معرفة وبصيرة ، وكانت مكة بصفة خاصة مركزاً من المراكز الكبرى لهذه التجارة الواسعة النطاق ، وكانت المظاهر التجارية فيها بارزة فى حياتها بروزاً كبيراً مما دعا الأب لامنس H. Lammens إلى تلقيبها فى كتابه عنها بالجمهورية التجارية . وهذه الحياة التجارية تعتمد إلى حد كبير على الكتابة — ولن تكون كتابة بغير قراءة — فمن الغريب جداً الحكم بأن لغة العرب لا تحتوى على ما يدل على هذا المعنى . وإن النصوص الجاهلية نفسها تدل على أن العرب قد اتخذوا الكتابة ، لا فى الوثائق التجارية فقط ، بل فى عقد المحالفات بين القبائل المختلفة ، وحسبنا ما قاله الحارث بن حلزة فى شأن بكر وتغلب :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدى وهل ينقض ما فى المهارق الأهواء[1]

ونحن نعرف فى السيرة مظهراً من مظاهر هذه العهود فى « عهد الحديبية » وكان مندوب قريش فى كتابته عمرو بن سهيل ، وهو يقدم إلينا صورة من صور الحصافة والدقة فى كتابة العهود والاتفاقات ، فلم تكن قريش حديثة عهد بمثل هذا

وانظر هذه الصورة التى يقدمها لبيد فى معلقته :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبُر تجد متونَها أقلامُها

ومثل هذه الصورة شائع فى الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا ، وكلها تثبت أن العرب لم يكونوا غرباء عن الكتابة والقراءة وإذن فافتراض أن القرآن استعار مادة القراءة من بعض اللغات السامية الأخرى لعدم العثور على هذه المادة فى النصوص الجاهلية التى بين أيدينا افتراض فيه شىء كثير من المجازفة

محمد طه الحاجرى

(١) قال الجاحظ فى الحيوان : « ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان »

٥ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

المأخوذون بالعالم الثاني

وترامى زارا يوماً بخياله الى ما وراء الانسانية ، فتراءى هذا العالم لديه كما يراه جميع المأخوذين بالعالم الثاني خليقة رب متألم مضطرب ، فقال :

رأيت الدنيا كأنها أحلام نائم أبدعت أبخرة حوّالة متلونة ترتد عنها ألوهية النفس على غير رضى . وقد لاح لى الخير والشر والأفراح والاحزان وذاتى وذات الآخرين كما تلوح الأبخرة الملونة لعين المبدع ، ولعل المبدع أراد أن يتحول ببصيرته عن ذاته فأوجد العالم

لا ينتشى المتألم بمسرّة أشد من مسرّته حينما يُعرض عن آلامه وينسى نفسه . هكذا تكشف لى العالم يوماً فرأيت مسرته ثملاً ونسياناً وهو يتقلب أبداً فى نقائصه مَعكَساً للتناقض الأبدى

نظرت إلى العالم يوماً فلاح لى مسرة مسكرة يتمتع بها مبدع غير كامل خلقتُه أنا ، فجاء ككل أعمال البشر جِنّةً بشرية

ما كان هذا الاله إلا إنساناً ، بل جزءاً من شخصية إنسان ، لأنه نشأ من ترابى ومن لهبى . إنه لشبح من هذا العالم لا من وراء هذا العالم

شهدت ذلك ، أيها الأخوة ، فتفوقت على ذاتى بآلامى ، وحملت ترابى إلى الجبل حيث أوقدت ناراً تشع نوراً فاذا بالشبح يتوارى مبتعداً عنى

فاذا ما آمنت الآن بمثل هذا الشبح ، فلا يكون إيمانى إلا توجعا وصغارا ، ذلك ما أقوله للمأخوذين بالعالم الثانى

ما أوجدت العوالمُ الأخرى فى هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز ، ذلك ما أوجدته تلك العوالم فأوجدت معه هذا الجنون السريع الزوال بسعادةٍ ماذاقها من الناس إلا أشدهم آلاما

إن المتعب الذى يطمح الى اجتياز أبعد مدى بطفرة واحدة بطفرة قاتلة ، وقد بلغت به مسكنته وجهالته حداً لا يستطيع عنده أن يريد ، انما هو نفسه مبدع جميع الآلهة وجميع العوالم الأخرى

صدقونى ، أيها الاخوة ، إن الجسد قد قطع رجاءه من الجسد ، فغدا يجس بأنامله مواضع الروح المضللة ، وذهب يتلمسها من وراء الحواجز القائمة على مسافة بعيدة

صدقونى ، أيها الأخوة ، إن الجسد قد تملكه اليأس من الأرض فسمع صوتاً يناديه من قلب الوجود ، فأراد أن يخترق برأسه أطراف الحواجز ، بل حاول العبور منها إلى العالم الثانى ، غير أن العالم الثانى جد خفى عن الناس لأنه بتخنثه وابتعاده عن كل صفة إنسانية ليس إلا سماء من العدم . إن قلب الوجود لا يخاطب الناس إذا لم يكلمهم كانسان

والحق إنه ليصعب علينا إثبات الوجود واستنطاقه . أجيبوا أيها الاخوة ، أفما يلوح لكم أن أغرب الأمور أثبتها دليلاً ؟..

أجل ! إن هذه الذات على مافيها من تناقض واختلال تثبت بكل جلاء وجودها فتبتدع وتعلن ارادتها لتضع المقاييس وتعين قيم الأشياء ، وما تطلب هذه الذات فى اخلاصها الا الجسد حتى فى حالة استغراقه فى أحلامه وتحفزه للطيران بأجنحته المحطمة

إن هذه الذات تتدرب على الأفصاح عن رغباتها باخلاص ، وكلما ازدادت تدرباً ألهمت البيان للاشادة بالجسد وبالأرض

لقد علمتنى ذاتى عزة جديدة أعلمها الآن للناس : علمتنى ألا أخفى رأسى بعد الآن فى رمال الأشياء السماوية ، بل أرفعها رأساً عزيزة ترابية تبتدع معنى الأرض

إننى أعلم الناس إرادة جديدة يتخيرون بها السير على الطريق التى اجتازها الناس عن غباوة من قبلهم ؛ أعلمهم أن يطمئنوا إلى هذه الطريق فلا تنزلق أرجلهم عنها كما انزلقت أرجل الأعلاء المتهكمين ، وما هؤلاءِ إلا مَن ابتدعوا الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراقة لافتداء البشر . على أن هذه السموم التى أخذوا بلذتها ورهبتها لم يستخرجوها إلا من الجسد ومن الأرض

لقد شاءوا الفرار من الشقاء وتراءت لهم الكواكب بعيدة صعبة المنال فوجموا يدفعون بالزفرات قائلين : وا أسفاه ! لمَ لا تنفتح أمامنا سبلٌ فى السماء ننسحب عليها إلى وجود آخر وسعادة أخرى

فى ذلك الحين اخترعوا أوهامهم وكؤوسهم الصغيرة المترعة بالدماء . . وحسب هؤلاء الناس فى عقوقهم أنهم فازوا بالنعيم بعيداً عن جسدهم وعن الأرض ؛ وتناسوا أن تنعمهم ورعشة ملذاتهم إنما نشأت من جسدهم ومن هذه الأرض[1]

إن زارا ليشفق على الأعلاء فلا يغضب لما أوجدوه من وسائل السلوان ولا يتبرم لأنهم عقّوا جسدهم وأرضهم ، بل هو يرجو لهم الشفاء والتغلّب على أنفسهم ليوجدوا لهم أجساداً أرقى من أجسادهم

إن زارا لا يغضب أيضاً على الناقه الذى يحنّ إلى وهمه فيذهب فى منتصف الليل ليطوف بقبر إلهه ، ولكنه لا يرى فى دموع هذا الناقه إلا أثر المرض والجسم المريض

لقد وجد فى كل زمان كثير من المرضى المستغرقين المتشوقين فهم يكرهون إلى حد الهوس كل من يطلب المعرفة ، ويكرهون أبسط الفضائل وهى فضيلة الاخلاص

إنهم يلتفتون دائماً إلى الوراء ، إلى الأزمنة المظلمة ، إذ كان للجنون وللايمان حلتهما الخاصة ؛ فكان الاله يتجلى فى هوس العقل ، وكانت كل ريبة خطيئة

لقد عرفتهم جد المعرفة ، أولئك المتجلين على صورة الله ومثاله ، فتيقنت أن جميع رغباتهم تتجه الى أن يؤمن الناس بهم وأن يصبح كل شك فيهم خطيئة ، وما فات مداركى ذلك الايمان الذى يدّعون رسوخه فيهم . فانهم لا يؤمنون لا بالعوالم الأخرى ولا بقطرات الدماء تفتدى العالم ، بل هم كسائر الناس يعتقدون بالجسد ، ويرون أن أجسادهم نفسها هى الكائن الواجب الوجود

غير أن هؤلاء الناس يرون الجسد كائناً معتلا ، فيودون أن يبارحوا جلودهم وذلك ما يدفعهم إلى الاصغاء للمبشرين بالموت وما يهيب بهم إلى التبشير بالعوالم الأخرى

أما أنتم ، يا إخوتى ، فاصغوا الى صوت الجسد الذى أبلّ من دائه لأن هذا الجسد يخاطبكم بصوت أنقى وأخلص من تلك الأصوات

ان الجسد السليم يتكلم بكل إخلاص وبكل صفاء ، فهو كالدعامة المربعة من الرأس حتى القدم وليس بيانه إلا إفصاحاً عن معنى الأرض

هكذا تكلم زارا

المستهزئون بالجسد

لأقولنّ للمستهزئين بالجسد كلمتى فيهم : إن واجبهم ألا يغيروا طرائق تعاليمهم ، ولكن عليهم أيضاً أن يودّعوا أجسادهم فيستولى على ألسنتهم الخرس

يقول الطفل : أنا جسدٌ وروح . فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالأطفال ؟ أما الانسان الذى انتبه وأدرك ذاته فيقول : إننى بأسرى جسد لا غير ، وما الروح إلا كلمة أُطلقت لتعيين جزء من هذا الجسد

ما الجسد إلا مجموعة آلاتٍ مؤتلفة للعقل ، ومظاهر متعددة لمعنى واحد . إن هو إلا ميدان حرب وسلام ، فهو القطيع وهو الراعى

إن آلة جسدك إنما هى أداة عقلك الذى تدعوه روحا ، أيها الأخ ، إن هو إلا أداة صغيرة وألعوبة صغيرة لعقلك العظيم

إنك تقول : (أنا) ، وتنتفخ غروراً بهذه الكلمة ، غير أن هنالك ما هو أعظم منها ، أشئت أن تصدق أم لم تشأ ، وهو جسدك وأداة تفكيره العظمى ؛ وهذا الجسد لا يتبجح بكلمة

(١) ليذكر القارئ الكريم ما وجهنا انتباهه إليه فى مقدمتنا ، فهاهو ذا نيتشه قد بدأ يوضع علة جحوده ، فهو يرى معبود الناس قائماً من وهمهم أو بتعبير آخر أن الانسان قد خلق الله فصوره من ترابه ونفخ فيه نسمة من لهبه . ولو أننا وقفنا عند كل فكرة جانحة من أفكار نيتشه لنحللها ونرجع منها إلى إيماننا المسكين لاضطررنا إلى التحول من الترجمة إلى البحث الذى وعدنا بالقيام به بعد الفراغ منها . غير أننا لا نجد بداً الآن من دعوة القارىء إلى الامعان فى الصفات التى تتراءى لنيتشه كأنها هى الألوهية فيتأكد أن الاله الذى يهاجمه هذا الفيلسوف هو غير إلهنا ، وعالمه الثانى هو غير عالمنا الروحى الذى يقيم فينا قبل أن نقيم فيه

إن نيتشه كان قد خرج على الدين الذى اقتبسته الآرية عن السامية فشوهته ، فأصبح بعد ذلك طريد فكره الجبار ينتقد آثار الدين فى المجتمع ، وقد وقف موقفه السلبي فلاهو يسكت صراخ نفسه المتمردة ، ولا هو يهتدى إلى الدين الحق الذى تسكن الروح إليه وينتظم المجتمع بأحكامه ؛ وها نحن نورد كلمة لنيتشه قالها وهو يكتب زرادشت وفيها عبرة للمؤمنين وللجاحدين

فى حديقة من حدائق لوزرن جلس نيتشه إلى السيدة (لو سالومه) وهى حسناء روسية ملكت لبه ، وفى حديثه معها ملكه الصمت ؛ فرأت لو دموعه تنهمر وبدأ يقص عليها تاريخ تطوره الفكرى ؛ فوصف لها سنى فتوته التى قضاها فى التعبد ، ثم عرض مراحله فى شكوكه واضطرابه فى عالم لا بد من إسرار الحياة فيه دون أن يكون لهذا العالم إله . . . فقال ، والسيدة نفسها دونت قوله للتاريخ :

« هكذا بدأت مغامراتى الفكرية وما وصلت إلى محجة منها ، فالى أين أتجه . . . أفلا يجدر بى أن أعود إلى الايمان ، أو أن أوفق إلى إيمان جديد ؟ على أنه خير لى إذا أنا لم أوفق إلى الوصول لهدف أن أعود أدراجى من أن أقف فى حيرتى » اهـ . نقلا عن كتاب دانيال هالاى

أنا ، لأنه هو (أنا) ، هو مُضمر الشخصية الظاهرة

إن ما تتأثر الحواس به وما يدركه العقل لا نهاية له فى ذاته ، غير أن الحس والعقل يحاولان اقناعك بأن فيهما نهاية الأشياء جميعها ، فما أشد غرورهما !

ما الحس والعقل الا أدوات وألعوبة ؟ والذات الحقيقية كامنة وراءهما مفتشة بعيون الحس ومصغية بآذان العقل

إن الذات ما تبرح مفتشة مصغية ، فهى تقابل وتستنتج ثم تهدم متحكمة فى الشخصية سائدة عليها ، فأن وراء إحساسك وتفكيرك ، يا أخى ، يكمن سيد أعظم منهما سلطاناً ، لأنه الحكيم المجهول ، وهذا الحكيم إنما هو الذات بعينها المستقرة فى جسدك وهى جسدك بعينه أيضا(١)

ان فى جسدك من العقل مايفوق خير حكمة فيك ، ومَن له أن يعلم السبب الذى يجعل جسدك بحاجة الى خير ما فيك من حكمة

ان ذاتك تهزأ بشخصيتك وبألعابها قائلة : — ما هى خطرات الفكر وتساميه إن لم تكن جنوحاً الى هدفى ، أفلست أنا رائدة الشخصية وملهمة أفكارها ؟

تقول الذات للشخصية : — اشعرى بألم ، فتتألم وتفتكر بالتخلص من هذا الألم وقد تحتم عليها أن تتجه الى هذه الغاية

وتقول الذات للشخصية — اشعرى بالسرور ، فتسر وتفتكر بأطالة أمد هذا السرور ؛ وقد تحتم عليها أن تتجه الى هذه الغاية

لى كلمة أقولها للمستهزئين بالجسد ، وهى أن احتقارهم انما هو فى الحقيقة حرمة واعتبار ، إذ من هو يا ترى موجد الاحترام والاحتقار والتقدير والارادة ؟

ان الذات المبدعة أوجدت لنفسها الاحترام والاحتقار كما أوجدت اللذة والألم ، ان الجسم المبدع أوجد العقل لخدمته كساعد يتحرك بارادته

انكم لتخدمون الذات الكامنة فيكم حتى فى جنونكم وفى احتقاركم . وأنا أقول لكم أيها المستهزئون بالجسد إن ذاتكم نفسها تريد أن تموت ، وقد تحولت عن الحياة لأنها عجزت عن القيام بما كانت تطمح اليه ، ومأأقصى رغباتها الا ابداع من يتفوق عليها ، ولقد مضى زمن تحقيق هذه الرغبة ، لذلك تطمح ذاتكم الى الزوال أيها المستهزئون بالأجساد

إن ذاتكم أصبحت تتوق الى الزوال ، وهذا ما يدفع بكم إلى الاستهزاء بالأجساد إذ قد امتنع عليكم أن تخلقوا من هو أفضل منكم

ان هذا العجز قد ولد فيكم النقمة على الحياة والأرض . وهاهى ذى تتجلى شهوة فى لحظاتكم المنحرفة دون أن تعلموا

إننى لا أسير على طريقكم أيها المستهزئون بالأجساد ، لأننى لا أرى فيكم المعبر الذى يؤدى الى مطلع الانسان الكامل

(يتبع) فليكس فارس

(١) أفلا يرى القارىء الكريم إثبات واجب الوجود فى محاولة إنكاره والايمان الفكرى الأسمى فى أضل منطق وأصرح جحود ؟ ذلك هو رد الفعل الذى أشرنا اليه فى مقدمتنا ، فان الايمان الغربى قد اعتبر الجسد آلة شهوة محتقرة يجب إذلالها ، فأنكر الحياة (وما الحياة فى نظر الشرق المؤمن إلا مقدمة للخلود) وما ثار نيتشه إلا على هذا التصور للكيان الانسانى ، فهب يقلب ظاهره باطناً وباطنه ظاهراً ، ويشطره إلى ذات وإلى شخصية معتبراً الشخصية عقلا وإدراكا زائلين وقائلا بأن الجسم بما فيه من حوافز مجردة خفية إنما هو بنفسه الذات الواجبة الوجود التى تندفع إلى التكامل لتبلغ بالانسان مرتبة الألوهية

هذه كلمة لم نر بدأ من الاتيان بها وهى جد موجزة ، ولكنها ستكون مداراً لبحثنا عندما ننتهى من ترجمة فيلسوف الغرب الكبير لنأخذ من إلحاده دليلا له شأنه على صحة إيمان الشرق بالواحد الأحد وبما نفخ فى الأجساد من نسمة الحياة الخالدة

الربيع الناطق!

للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

يامَن تفتّح كالربيع لناظري ... فلمحت فيه شقائقاً وبهارا
والفلَّ يشرق بالضياء وبالشذا ... والنرجسَ النعسان والنوّارا
والوردَ مُوراً يتمتم: «ويحكم ... هيا اغنموا، مُتعُ الحياة قصارا»
متباين الألوان ألّف بينها ... ذوق يبلبل سرُّه الأفكارا
تلك المفاتنُ ينتهين لغايةٍ ... ولقد يريبك أنها تتبارى!
أمثولةُ الحسن البديع مرامُها ... تطوى لها المضمار فالمضمارا
فكأنها أحزاب شعبٍ راشدٍ، ... كلٌّ يجمّع حوله الأنصارا
يتنافسون، وإنما مرماهم ... تحقيق آمال البلاد كبارا
ما للجمال وللسياسة؟ إنه ... أهدى إلى قصدِ السبيل منارا
هو عالم ننساب في أطيافه ... ونعانق الأنداء والأنوارا!
من ضلّ في ساحاته كمن اهتدى ... وكمن صحا من لا يفيق خُمارا

***

يا من تفتّح كالربيع لناظري! ... أضرمت ما بين الجوانح نارا
أسكرتَ روحي بالسّنا فذهلتُ عن
نفسي، وخلت العالمين سكارى!
وسهوتُ عن زمني فلست بمثبتٍ ... أسكرتُ ليلاً أم سكرت نهارا؟
رمتُ الكلامَ، فحار في شفتي كما ... تاه الجمالُ بناظريك وحارا!
ماذا أقول وكل لفظٍ شاردٌ؛ ... عيناك أعظم أن تُطيقَ حوارا
عيناك أقوى بالحياة وفيضها ... زخراً، وأعمق في الحياة قرارا!

***

لبَصُرتُ بالتُّفاح يلعن نفسه ... لما أبيتَ مساسه استكبارا!
كم ودّ لو يلقى الشهادة في فمٍ ... يهبُ الخلود وينهب الأعمارا!
ما كان ضرّك لو مسحت جبينه ... فأحاله لَهَبُ الحياة نُضارا!
أو لو قبلت فداءه فجعلته ... معنى يحيط به الجمال إطارا
أم غرت منه؟ فيا لقلبك قاسياً! ... ماذا تركت لحسنه فتغارا؟
يكفيه في زيناته أن يكتسي ... شَفَقاً له من وجنتيك مُعارا
ما كان إلا خادماً لك طائعاً ... يقفو خُطاك يُقبّل الآثارا!
راجع فؤادك في أحقّ مُورّدٍ ... برضًى وأكرمِ مُشبهيك نجارا
تغفو وتصحو، وهو في صلواته ... لخدودك الآصالَ والأسحارا!
أما نثار الورد إذ بدّدته ... فلو استطاع من السرور لطارا
ألأنّه يحكي القلوب بشكله ... عبثت يداك بشمله استهتارا؟
إهنأْ بظلمك؛ فالقلوب تودّ لو ... تُلقى لديك على البساط نثارا!
ويح القلوب! أغلوت في بغضائها ... فمقتَّ من جرّائها الأشعارا
أتلوم أرضاً — يا غمام — بخيرها ... حفلت، وأنت فجّرتها أنهارا؟
أهبطت (شاكسبير) من عليائه ... وأزحتَ عن كرسيّه (مهيارا)
ووقفت في وجهِ (الخلود)؛ فهل تُرى
تطوى الخلود وقد طوى الأدهارا؟
لن تستطيع، إفن جمالك دونه ... سدٌّ يقيه سطوك الجبارا!!

***

رفقاً بحبّات القلوب تسومُها ... سوء العذاب وما جنت أوزارا
ألأنها تهفو لحسنك كلما ... لمحته أو هجست به تذكارا!
يا لائم الأوتار في إرنانها ... مهلاً! بنانك تضرب الأوتارا!
يا طاوي الأقدار تحت جفونه! ... حتّى لنخشاهنّ لا الأقدارا
لما أبيتَ على مشاعرنا الهوى ... هلا مسخت قلوبنا أحجارا!!

علي أحمد باكثير

خاطرة!

قلبي يعاطف هذا الكون أجمعه
لكنه لم يجد قلباً يعاطفه!
يا ليت لي في الورى قلباً يلوذ به
قلبي فتبيضّ من حُبٍّ صحائفه
أقول شعري فهل قلب يصيخ له
وتستبيه كما أهوى طرائفه!؟

العوضي الوكيل

قسوة الطفولة*

للأستاذ أمجد الطرابلسي

عُدْ به للوطنِ الغا   لى ولِلامِّ الرؤومِ
عد به للوَكْنِ البا   كى وللصَّحبِ الوُجومِ
عد به لِلفَنَنِ الذا   وى وللزَّهرِ الكليم
وارحَمِ اليُتْمَ فمن أصـ   ـعبَ عيشاً مِن يتيم
زهرةٌ فواحةٌ مَعطـ   ـروحَةٌ فوقَ الأَديم
وُئِدَتْ فى عُنفُوانِ الـ   ـحُسْنِ ما بيْنَ الرّجوم
تَطَأُ الأَقدامُ خَدَّيـ   ـها على التربِ الوَخيم
أيها الطفلُ — وهَلْ أرْ   هَبُ من طِفْلٍ غَشوم —
ما جنى تِرْبُكَ حتّى   سِيمَ أَلوانَ الهُموم ؟
هُوَ يا طفلُ حزينٌ   جائعٌ غيرُ فَطيم
صامتٌ يجهلُ بَثَّ الـ   ـحزنِ والكربِ العَظيم
أَيُّ مسكينٍ غريبٍ !   أَيُّ مظلومٍ مَضيم !
جِسْمُهُ الأَزْغَبُ لا يَنْـ   ـهَضُ بالخَطْبِ الجَسيم
يَتَنَزّى فَرَقاً كالزَّ   هرِ فى مَسْرى النَّسيم
أَوْ كَغُصْنٍ مُرْعَشٍ ما   بينَ عَصْفٍ وَهَزيم

* * *

أُمُّهُ يا طفلُ تبكى   فى دُجى اللَّيْلِ البَهيم
تَتَمَشّى فَوْقَ أَغصا   نِ الرّبى مَشْىَ السَّقيم
تَسْأَلُ الأَزْهارَ عَنْهُ   وَعناقِيدَ الكُروم
والنَّسَيْماتِ اللّواهى ،   ونُثاراتِ الغُيوم
لم تَذُقْ طَعْمَ الكرى فى   وَكْرِها الداجى الوَجوم
أكَرىً والدَّمْعُ ما بَيـ   ـنَ نَثيرٍ وَنَظيم ؟
والجوى يَعْصِفُ بالأَضْـ   ـلاعِ والقَلْبِ الهَشيم
أكَرىً بعْدَ فِراقِ الأَ   هْلِ أَوْ فَقْدِ النَّديم
غابَ لا تدرى أَحَىٌّ   هُوَ أَمْ بَعْضُ الرَّميم
أَسَجينُ القَفَصِ الخا   نِقِ أَمْ فَرْسَةُ بُوم

* * *

أنا يا عُصفورُ مَنْ يَر   أَفُ بالغَمِّ الكَظيم
ما بأَشْجانِكَ يا مِسْـ   ـكينُ مِثلى من عَليم
هِجْتَ فى قَلْبِىَ جرحاً   غافِياً جِدَّ قَديم
هو عطفُ الأُمِّ ، ما أَنْـ   ـداهُ فى القَلْبِ الكليم !
لم أَذُقْهُ ؛ ليتَ لى مِنْ   قُدْسِهِ بَعْضَ رسوم

* * *

إيهِ يا عُصْفورُ هذى   سُنَّةُ البَغْيِ الذميم !
هكذا الناسُ ! فَمِنْ عا   دٍ وَمِنْ نَهْبٍ هَضيم
ظالم يَقْسو عَلى الـ   ـحقِّ انتصاراً لظلوم
وجـريحٍ مُؤْلِمٍ يحـ   ـنو على الجرحِ الأَليم
القصورُ الشمُّ نَشوى   الراحِ واللَّحْنِ الرَّخيم
والدموعُ الحُمْرُ تَنْـ   ـهَلُّ مِنَ الكوخِ الهَديم
ساكِنُ الفِرْدَوسِ لا يُدْ   رِكُ وَيلاتِ الجحيم
وهو فى الاحلامِ واللَّـ   ـذاتِ والعِزِّ المقيم
أينَ طعمُ العَسَلِ الدفّـ   ـاقِ مِنْ لَذْعِ الحَميم !
أينَ مَرُّ النسمة الحُلْـ   ـوةِ من لَفْحِ السَّموم !
أينَ أَصْداءُ الاغاريـ   ـدِ وَهَمْساتُ النُّجوم
من عويلِ الأكبدِ الحَرَّ   ى وأَناتِ الجُسوم !

* * *

عُدْ بِهِ للوطَنِ الغا   لى وللامِّ الرَّؤوم
وارحَمِ الضَّعْفَ فما يَسْـ   ـحَقُهُ غيرُ لئيم
سافِكٍ لا يَعْرِفُ الرَّأْ   فَةَ أَوْ أَسْوَ الكُلوم
يَتَلَهّى بالدَّمِ المُهْـ   ـراقِ والدَّمْعِ السَّجيم
كيفَ تَصْفو عِيشَةُ الحُـ   ـرِّ وَأَفراحُ الكريم
وعَلى الأَرْضِ شَقِىٌّ   واجِدٌ نِضْوُ غُموم
كُنْ رَحيماً إنما الإِنْـ   ـسانُ ذو القَلْبِ الرَّحيم

(دمشق)   أمجد الطرابلسى

(*) كتبت هذه القصيدة وقد رأيت فى المدرسة طفلا صغيراً يتلهى بتعذيب عصفور صغير مثله ، وكله فرح وسرور بألعوبته

٧ – تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن حبشي

الفصل الأول

أما القصيدة الموجهة إلى ولده وخليفته حسّان والتي اقتضت التقاليد والعرف أن يقولها فلا تعدو نصيحة الوداع وقد استنفد جزءاً كبيراً منها في تعداد غزواته والفخر بأسرته وبنفسه[(١)] وكل ما نجده فيها من الأمثال والنصائح لا يعدو قوله :

حضرتْ وفاة أبيك يا حسّان فانظر لنفسك فالزمان زمان
فلربّما ذل العزيز وربّما عزّ الذليل وهكذا الانسان
قولوا لحمير يقبروني واقفاً وتـكن معي الخيلان والرقّان[(٢)]
وانظر لـكاهنتي فان كلامها علم وأن بصوتها غيمان

وعلى ذكر غيمان[(٣)] فيمكن إضافة بضع كلمات قلائل حول قلاع اليمن التي تجثم بقاياها الخربة وتتراءى للمسافر المار بها في وحدتها متجهمة ساخرة ؛ ومنذ ألفي عام ، وربما قبل ذلك بكثير كان يسكن هذه القلاع والحصون أمراء أقوياء الشكيمة مستقلون أو شبه مستقلين يولون ملوكهم ويعزلونهم أحياناً حينما أخذت دعائم الامبراطورية الحميرية تتداعى . ولقد أسهب الهمداني الجغرافي في وصف هـذه القلاع في المجلد الثامن من مؤلفه العظيم « الاكليل » الذي تناول فيه تاريخ اليمن وذكر عادياتها وآثارها[(٤)] ، وإن أقدم هاتيك الحصون وأشهرها لهو المسمى « غمدان[(١)] » قلعة صنعاء ، ويصفونه بأنه صرح هائل ذو عشرين طابقا ارتفاع كل طابق عشر أذرع ؛ وقد شـيدت أوجهه الأربعة من حجارة متباينـة الألوان : بيضاء وسوداء وخضراء وحمراء ، وعلى قمة الصرح غرفة ذات نوافذ رخاميـة محلاة بالأبنوس والخشب المصقول ، وفي وسطها لوحة مرمرية فاذا ما اضطجع صاحب غمدان على سريره ، شاهد الطيور محلّقة فوق رأسه ، واستطاع أن يميز الحدأة من الغراب ؛ وفي كل ركن من أركان الغرفة قد نصب تمثال أسد من البرنز ، فاذا ما هبت الريح تغلغلت في ثناياها ، فيخرج منها إذ ذاك صوت أشـبه بزمجرة الليوث

وإن مخاطرات « أسـعد كامل » مع الساحرات الثلاث تذكر القارئ ببعض مناظر خاصة في رواية ماكبث . وإن العجيب في تاريخ ابنه حسان ، تلك الحادثة التي تؤلف منظراً أشبه بمنظر مسير غابة برنام[(٢)] . وهنا نشير إلى قبيلتي طسم وجديس ، وما أحدثت جديس الجزرة التي فتكت فيها بطسم استطاع أحد أفراد القبيلة الثانية الهروب وهو « رباح بن مرة » فاحتمى بتبع حسان ، واستطاع أن يؤثر فيـه حتى أرسل معه جيشاً ليقتصّ به من القتلة . وكانت أخت رباح وتدعى « زرقاء اليمامة » قد بنت بأحد رجالات جديس ؛ وكانت حادة البصر حتى لقد كان في استطاعتها أن ترى الجيش على بعد ثلاثين ميلاً ، ولـما كان رباح يعرف ذلك في أخته فقد نادى في الجيش أن يقتلع كل رجل شجرة ويحملها أمامه . وإذ جن المساء وأصبحوا على مسيرة يوم من جديس قالت زرقاء اليمامة لقومها : « إني أرى غابة تسير إليكم » فلم يصدقها أحد وسخروا بها حتى إذا كان الصباح أغار حسان عليهم وأعمل السيف في رقابهم

ولقد أحس زعماء حمير أن الحملات الحربية — التي شجعها حسان — إنما هي عبء ثقيل عليهم ، فدبروا مؤامرة لذبحه

(١) يجد القارئ النص العربي الـكامل لهذه القصـيدة في كتاب فون كريمر :

Altarabische Gedichte ueber die Volkssage von Jemen, P. 20 seg

وقد ترجمها بنفسـه نثراً في كتابه « خلاصة المسألة الحميرية ص ٨٤ وما يليها »

(٢) وقد ترجم فون كريمر (في تعليقه على النص العربي ص ٢٦) « ادفنوا معي الخيلان » بمعنى الخيل ، و « الرقان » جمع رقيق ، وفضلا عن عدم ورود هذا الجمع في المعاجم فليس من المعقول أن يأمر الملك بمثل هذه الوحشية ، ومن ثم فقد قرأت خيلان (جمع خال) بمعنى « حشايا اليمن الناعمة » وقرأت « زقان » جمع « زق » (المؤلف)

(٣) غيمان أو مقلاب قلعة قرب صنعاء كان يدفن فيها ملوك حمير

(٤) قام D. H. Müller بطبع النص العربي من هذا الجزء من كتاب الاكليل مع ترجمته في مجلة S. B. W. A. ج ٩٤ ، ٩٧ (فينا ٨٧٩ — ١٨٨٠)

(١) مما جاء في الطبري (ج ١ ص ٩٢٩) عن غمدان قول أحد الشعراء :

وغمدان الذي حـدثت عنه بنوه ممسكا في رأس نيق
بمنهمة وأسـفله جروب وحر الموصل اللثق الزليق
مصابيح السليط تلوح فيه إذا يمسي كتوماض البروق
ونخلتـه التي غرست إليه يكاد البسر يهزز بالعذوق

(المترجم)

(٢) يشير المؤلف إلى المنظر الخامس من الفصل الخامس ، حينما دخل مارس الغابة على ماكبث مخبراً إياه بأنه قد رأى غابة برنام Bernam تسير (المترجم)

وتولية أخيه عمرو مكانه ، فقالوا له : « اقتل أخاك حسانا وتملك علينا وترجع بنا إلى بلادنا (١) » فامتنع بادئ ذي بدء وأبى الخضوع لما أشاروا به ، غير أنهم استطاعوا التغلب عليه فطعن بيده تبع ؛ بيد أن الجرم أقض مضجعه ، ولم يذق جفناه الكرى فصمم على أن يقتل كل من وسوس اليه بذلك ؛ وكان هناك زعيم يدعى « ذا رعين » حاول جهده انقاذ عمرو مما هو مقدم عليه فما استطاع ، ولما وجد أن محاولاته ذهبت عبثاً كتب رقعة رفعها اليه وختمها وقال له : « ضع لى هذا الكتاب عندك حتى أطلبه » فلما مثل ذو رعين أمام عمرو سأله عن الرقعة فأخرجها فاذا فيها :

ألا من يشترى سهراً بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت فمعذرة الاله لذى رعين (٢)

فلما قرأها عمرو أيقن الاخلاص فى قوله ثم أطلق سراحه

وقد انتهى عهد التبابعة بعمرو هذا . أما الملوك الذين خلفوهم فقد كان يختارهم ثمانية أقيال أقوياء ، كانوا فى الحقيقة أمراء مستقلين ، يحكم كل منهم فى حصنه القوى . وفى أثناء هذه الفترة غزا الأحباش بعض أجزاء المملكة ، وأرسل النجاشى ولاته المسيحيين ليحكموها باسمه ، حتى قام أخيرا ذونواس — وهو من ذرية تبع أسعد كامل — وطرد الأشراف الثائرين ، وجعل نفسه حاكما لليمن غير مسئول ، وكان يهودياً متعصباً ، فجمع العزم على أن يستأصل شأفة المسيحية من نجران التى يقال إن النصرانية دخلتها على يد رجل مبارك يدعى فيميون ، ودخل الحميريون فى دينه أفواجا يدفعهم إلى ذلك كرههم لاستبداد الأحباش أكثر من احترامهم للدين . وحدث إذ ذاك أن قُتِل طفلان يهوديان فأتاح هذا الحادث لذى نواس فرصة ليصب نقمته عليهم ، فسار إلى نجران على رأس قوة جرارة ، ودخل المدينة وخير أهلها بين اليهودية أو القتل ، فرفضوا دينه ، فحكم السيف فى أعناق الكثيرين ، وألقى بالآخرين فى أخدود أمر بحفره وأشعل النار فيهم ؛ وبعد مائة عام تقريباً من هذا الحادث حين لقى محمد (ص) أشد ضروب الاضطهاد من قومه أخذ يضرب لأتباعه المثل بنصارى نجران وكفاحهم : (قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ ، النّارِ ذاتِ الوَقودِ ، إذ هُم عليها قُعودٌ ، وهُم على ما يَفعَلُونَ بالمؤمنينَ شُهود ؛ وما نَقَمُوا مِنهمْ إلا أن يُؤمِنوا باللهِ العَزيزِ الحَميدِ (١)) وقد دفع ذو نواس ثمن هذا النصر غالياً ، فان دوس ذا ثعلبان كان قد نجا من القتل ففرّ إلى امبراطور الروم مستنصراً إياه باعتباره كبير المسيحيين ليساعدهم على أخذ ثأرهم ، فكتب يوستنيانوس رسالة إلى النجاشى طالباً اليه أن ينوب عنه فى تنفيذ هذه المهمة ؛ وسرعان ما حشد النجاشى سبعين ألفاً من الأحباش الأيدين ، وجعل عليهم أرياط قائداً فغزا اليمن . ولم يستطع ذو نواس الاعتماد على إخلاص أشراف حمير ، وتفرّقت قوّاته « فلما رأى ما نزل بقومه وبه وجّه فرسه إلى البحر ثم ضربه فدخل فيه ، فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى إلى غمرة فاقتحمه فيه فكان آخر العهد به (٢) » وبهذا انتهت سلسلة الملوك الحميريين

وعلى كل فان اليمن تظهر فى تاريخ ما قبل الاسلام ، كامارة حبشية أو ولاية خاضعة للفرس ، وأما القصص التى تروى بعد ذلك فتعتبر تمهيداً لرواية جديدة يمثل على مسرحها عربُ الجنوب دوراً تافهاً لا يعتد به (٣)

(يتبع) حسن حبشى

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٠
(٢) الأغانى ج ٢ ص ٨ س ١٤ — ١٥

(١) القرآن ٨٥ : ٤ — ٨
لكى يقف القارئ على الآراء المعاصرة والمسيحية المتأخرة المتعلقة باستشهاد نصارى نجران راجع كتاب « الحميريين » (النص السريانى والترجمة الانجليزية) طبعة A. Moberg سنة ١٩٢٤ وراجع :
Tor Andrae : Der Ursprung des Islams und das Christentum (Uppsalla, 1926) pp. 10—13
(٢) الطبرى ١ : ٩٢٧ س ١٩ وما يليه
(٣) راجع الطبرى ج ٢ ص ٩٢٨ س ٢ وما يليه ، وما كتبه نلدكه فى :
Geschichte der perser und Araber Zur Zeit der Sasaniden, p. 192 S99.

البريد الأدبي

بين الأدب والسياسة — فون أوسيتسكي حامل جائزة نوبل

قررت اللجنة المختصة بجامعة استوكهلم أن تمنح جائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٥ للكاتب الألماني كارل فون أوسيتسكي، وعن سنة ١٩٣٦ للدكتور سافدرا لاماس سفير جمهورية الأرجنتين في لندن، وذلك لما أبداه كل منهما في سبيل قضية السلام من خدمات وجهود

وليس في قرار جامعة استوكهلم ما يثير الدهشة، لأن جائزة نوبل للسلام تمنح كل عام كباقي جوائز نوبل الأخرى عن العلوم والآداب والفنون، وقد منحت في الأعوام السابقة لكثير من الكتاب والساسة مثل مسيو بريان رئيس وزارة فرنسا السابق، والسير نورمان انجل الكاتب الانجليزي المعروف

وقد منحت جائزة نوبل للهرفون أوسيتسكي Von Ossietzky تطبيقاً لدستور نوبل الذي يقضي بأن تمنح هذه الجائزة « لكل من قام بأكبر جهد وبأفضل جهد في سبيل توثيق روابط الأخوة بين الشعوب، أو في سبيل تخفيض السلاح، أو نشر الدعوة الى السلام »، وقد لبث فون أوسيتسكي مدى أعوام يبث بقلمه الدعوة الى السلام من منبر الصحافة، ولا سيما في صحيفة « الثلث بينه » Welt Buehne « مسرح العالم » التي كان يحررها مع صديقه وزميله في الدعوة الى السلم الكونت فون جيرلاخ الكاتب السياسي الكبير الذي توفي منذ أشهر في منفاه في باريس

ولكن حكومة برلين النازية ترى في منح جائزة السلام لهذا الكاتب الألماني إهانة لها، وتحتج على ذلك رسمياً لدى حكومة السويد، ولماذا؟ لأن كارل فون أوسيتسكي يعتبر في نظرها خائناً لوطنه، فتكريمه بهذه الصورة من هيئة عالمية يعتبر مناقضاً لواجب المعاملة الدولية، بل يعتبر استفزازاً لألمانيا

واليك قصة كارل فون أوسيتسكي المحزنة، ولماذا تعتبره ألمانيا الهتلرية خائناً لوطنه: كان فون أوسيتسكي من دعاة السلم كما قدمنا، وكان كاتباً مستقلاً لا ينتمي لأي حزب سياسي، وإنما يبث دعوته السلمية بالكتابة الملتهبة، ويدعو إلى تفاهم الشعوب ونزع السلاح بكل قواه، ويحمل على السياسة العسكرية لأنها خطر على السلام والمدنية؛ ولم تكن هذه الدعاية مما يتفق مع مبادئ الوطنية الاشتراكية ونزعتها العسكرية؛ فلما قبض الوطنيون الاشتراكيون (النازي) على زمام الحكم في سنة ١٩٣٣، كان فون أوسيتسكي ممن قبض عليهم من الكتاب المعارضين للمبادئ الهتلرية؛ فزج من ذلك الحين في أحد معسكرات الاعتقال المشهورة دون محاكمة أو تهمة معينة، وعاني في الاعتقال ضروباً مرهقة من الحرمان والتعذيب؛ والتمس كثير من الهيئات الأدبية والكتاب في مختلف الأمم من الحكومة الألمانية أن تطلق سراحه فأبت حتى أشرف الكاتب المعتقل على الموت، وعندئذ فقط سمحت بأن يغادر معسكر الاعتقال إلى أحد المستشفيات، حيث هو الآن تحت الحجر والاعتقال

ورأت الهيئات الأدبية المختلفة وأكابر الكتاب في أنحاء العالم أن يلفتوا نظر جامعة السويد إلى قصة هذا الكاتب الشهيد لكي تمنحه جائزة نوبل للسلام، واشترك في تقديم هذا الطلب رومان رولان، وابتون سنكلير، وهنريش مان، والفيلسوف ليفي بريل، وأميل لودفيج، وجيللمو فيريرو وغيرهم، تقديراً لخدماته وكتاباته الكثيرة في سبيل قضية السلام؛ وكان أن شاطرت اللجنة المختصة تقدير الرأي العالمي ومنحت كارل فون أوسيتسكي هذا الشرف العظيم

والآن يحتضر فون أوسيتسكي على سرير موته، وقد يموت بعد أيام أو أسابيع قلائل دون أن يعرف شيئاً عن الشرف العظيم الذي أسبغ عليه

أما اعتبار الحكومة الألمانية مواطنها خائناً، فلأنه كان قبل تبوئها الحكم بأعوام، يكافح بالقلم في سبيل السلام

كتاب عن نابليون لأوكتاف أوبري

أوكتاف أوبرى كاتب ومؤرخ من أشهر كتاب فرنسا الحاليين ؛ وهو مؤرخ قبل كل شئ يمتاز بأسلوبه الشائق وبيانه الساحر فى عرض الوقائع وتصنيفها ؛ وقد اتخذ فى الأعوام الأخيرة عصر نابليون بونابرت ميدانا لمباحثه ، وأصدر عن نابليون وعن العصر وأبطاله عدة كتب : وآخرها كتاب « نابليون وعصره Napoléon et son Temps ؛ وفى هـذا الكتاب يعنى أوكتاف أوبرى بالنواحى الشخصية والاجتماعية أكثر مما يعنى بالنواحى السياسية والعسكرية ؛ فلست تقرأ فى كتابه استعراضاً تاريخياً جامداً ، وإنما تقرأ قصة ممتعة عن الامبراطور ، وأطوار حياته الشخصية ، وعن خاصته وصحبه من الرجال والنساء ، وعن حوادثه الغرامية ؛ وتقرأ عن جوزفين وعن منافساتها فصولاً شائقة ؛ ثم تقرأ تفاصيل المأساة الأخيرة : نفى الامبراطور ، واعتقاله فى سنت هيلانة ، وما قاساه من الآلام المادية والمعنوية ، وتعرف الكثير عن بطانته التى صحبته فى الاعتقال من رجال ونساء الى أن تصل الى ختام المأساة فى جو يفيض سحراً وتأثراً .

ويفرد أوكتاف أوبرى للامبراطورة مارى لويز بحثاً شائقاً يحلل فيه شخصية هذه الأميرة التى ألقتها أقدار الحرب والسياسة فى طريق الامبراطور ، وأنجبت منه ولده « ملك رومه » أو النسر الصغير أو الدوق فون ريخشتات ، كما يسميه آل هبسبورج

هذه محتويات كتاب أوبرى تغرى بالقراءة ، ويحيطها جميعاً جو من السحر المؤثر

بين العلم والعاطفة

كثر الجدل منذ حين فى انكلترا حول مسألة اجتماعية وإنسانية دقيقة ، وهى هل يحق للانسان أن يعاون على الموت شخصاً عزيزاً عليه أصابه المرض وعز شفاؤه ؛ وقد ثارت هذه المسألة أخيراً فى ألمانيا على أثر ظهور رواية للكاتب الوطنى الإشتراكى الدكتور هلموث عنوانها « الرسالة والضمير » Sendung und Gewissen ؛ بطلها طبيب يعالج هذا السؤال : هل يحق لى أن أعجل الموت لمريض استعصى شفاؤه ، أم يجب على الانتظار حتى يوافيه الموت ؛ وقد عنى يبحث هذه المسألة عدة من أكابر الأطباء الألمان ، وأذاعوا آراءهم فى الصحف ؛ فيرى الأستاذ زاوربروخ الجراح الأشهر ، أن هذه مسألة ضمير لا يمكن حلها على هذا الوجه ، وأنه لا يمكن أن توضع لها قاعدة ولا أن يشرع لها قانون ، وهى تبعة عظمى لا يمكن أن يحتملها الطبيب بسهولة . ويقول الدكتور كلارى الاخصائى الكبير فى مباحث السل ؛ إنها مسألة لا يمكن التسليم بها ، ولا معنى مطلقاً لأن تثار مسألة اليأس من الشفاء لأن العلم يتقدم ويأتى كل يوم بالعجائب ، فمن يدرينا أنه لن يكتشف بين اليوم والغد علاج للسرطان مثلاً ؟ إنه من الاستهانة الكبرى أن تعامل الحياة بمثل هذه الرعونة بحجة الاشفاق على مريض عزيز ؛ ويؤيده الدكتور أونفرخت فى ذلك ويقول إن مهمة الطب هى أن تعاون على صون الحياة واطالتها ، لا على تحطيمها والتعجيل بسحقها ؛ وهذا هو رأى معظم أعلام الطب فى ألمانيا فى هذه المسألة الدقيقة

ديوان حافظ

رفع الأستاذ أحمد أمين إلى صاحب المعالى وزير المعارف ديوان المرحوم حافظ بك ابراهيم بعد أن تم جمعه وشرحه وتبويبه وقد بدأت مطبعة دار الكتب فى طبعه

ولم يعثر الأستاذ فى جميع المجلات والصحف المتداولة على قصيدتين من خير قصائده وهما قصيدته فى رثاء البابلى ومطلعها :

بدأ الممات يدب فى أترابى وبدأت أعرف وحشة الأحباب

والثانية قصيدة فى وصف الحالة فى مصر قبيل وفاته ومطلعها :

قد مر عام ياسعاد وعام وابن الكنانة فى حماه يضام

وهو يرجو ممن لديه القصيدتان أو إحداهما أو شئ منهما أن يتفضل فيبعث بذلك اليه فى لجنة التأليف والترجمة والنشر فى شارع الكرداسى رقم ٩ بعابدين وله الشكر

واجبنا بعد المعاهدة

فرغت لجنة أسبوع المعاهدة من تنظيم محاضراتها التى تبحث فيما يجب أن يتجه اليه المجتمع المصرى فى عهده الجديد على البيان التالى :

يوم السبت ٥ ديسمبر « واجب الشباب بعد المعاهدة » لسعادة أحمد نجيب الهلالى بك

يوم الاثنين ٧ ديسمبر « فكرة عامة عن منشأ الحروب وواجبنا الحربى بعد المعاهدة » لسعادة اللواء عزيز المصرى باشا

يوم الخميس ١١ ديسمبر « واجبنا الاجتماعى بعد المعاهدة » لسعادة حسن نشأت باشا

السبت ١٩ ديسمبر « واجبنا الأدبى بعد المعاهدة » للدكتور طه حسين بك

الكتب

نفح الطيب
فى طبعته الجديدة
بقلم محمد فهمى عبد اللطيف

همة مشكورة تلك التى يبذلها الدكتور أحمد فريد رفاعى فى الحرص على تراثنا الأدبى الحافل، باحياء عناصره، ونشر مصادره. وإذا كنا قد عرفنا هذه الهمة فى نفس الأستاذ من قبل — رغبة وأملا — فأننا الآن نلمسها منه عملاً جليلاً وجهداً كبيراً يؤديه فى نشر كتابى، معجم الأدباء، ونفح الطيب، فى طبع متقن، وضبط كامل، وتقسيم واضح، وتصحيح دقيق، تقوم وزارة المعارف بمراجعة أصوله النهائية مبالغة فى إجادته وحرصاً على إتقانه

ولقد وقع لى « القسم » الأول من نفح الطيب، فرأيته كالعروس المجلوة تخطر فى الثوب القشيب، فهو يغرى بالقراءة إغراء، ويستحث على المضى فى استجلائه وتأمله، فعاودت الكتاب بالنظر والتصفح، إذ كنت قد قرأته من قبل فى طبعته الأولى، فقدرت عمل الدكتور النافع، وتملكنى الأعجاب بذلك المجهود الذى بذله فى اخراج هـذا الكتاب الجليل، ولكن نشوة الأعجاب بالدكتور لا تمنعنى من أن أنبه على بعض هنوات ما نحسبها إلا قد ندت عن الخاطر اليقظ، وخرجت عن الدقة البالغة

الاثنين ٢١ ديسمبر « واجبنا نحو التعليم بعد المعاهدة » للدكتور على مصطفى مشرفة

الخميس ٢٤ ديسمبر «واجبنا الصحى بعد المعاهدة» للدكتور حامد محمود « واجبنا الزراعى بعد المعاهدة » لحسين عنان بك

الاثنين ٢٨ ديسمبر «واجبنا الرياضى بعد المعاهدة» لصاحب السعادة محمد طاهر باشا

الخميس ٣١ ديسمبر «واجبنا القانونى بعد المعاهدة» للدكتور عبد الرزاق السنهورى

الاثنين ٤ يناير سنة ١٩٣٧ « واجبنا القومى بعد المعاهدة » للأستاذ محمد توفيق دياب

الخميس ٧ يناير « واجب الطلبة بعد المعاهدة » للأديب فريد زعلوك

الاثنين ١١ يناير « واجبنا الصحفى بعد المعاهدة » لأنطون الجميل بك «واجبنا نحو الفلاح بعد المعاهدة» للآنسة ابنة الشاطئ

الخميس ١٤ يناير « واجب المرأة بعد المعاهدة » للسيدة استر فهمى ويصا

وستلقى هذه المحاضرات فى قاعة يورت التذكارية وقد أعدت اللجنة بطاقات تبيح لحاملها الدخول فى جميع المحاضرات أو بعضها مجاناً لمن يطلبها من سكرتير اللجنة بكلية الحقوق أو بنادى الجامعة

وثائق الحملة الفرنسية

اعتزمت الجامعة المصرية شراء طائفة من الوثائق والمستندات التاريخية الخاصة بعهد نابليون بونابرت فى مصر، وقد طلبت إلى وزارة المالية الموافقة على الاعتماد الذى قدرته لهذا المشروع؛ وفى انتظار تلك الموافقة وكلت إلى صاحب العزة عميد كلية الآداب أن يتصل بالمفوضية المصرية فى باريس ويطلب إليها موافاة الجامعة بالبيانات والمعلومات الخاصة بهذه المجموعة، فتلقى الأستاذ العميد من معالى وزير مصر المفوض برقية يقول فيها إن هذه المجموعة ملك لأحد الفرنسيين، وأنه قد عرضها للبيع بالمزايدة العلنية خلال هذا الشهر. أما ثمنها الأساسى فيقدر بنحو ألفى جنيه. ثم عرض معاليه على الجامعة استعداده لشراء هذه المجموعة إذا هى رغبت فى ذلك

فمن ذلك أنه وضع اسم الكتاب على الغلاف ناقصا ، فسماه نفح الطيب فحسب ، والمؤلف قد سماه (نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وهذا الاسم هو الذى وضع على الطبعات السابقة ، وكان على الأستاذ أن يثبته كاملاً للمحافظة على وضع المؤلف ، ولأن ذكر لسان الدين هو الفكرة الداعية لتأليف الكتاب كما أوضح ذلك المقرى فى مقدمته

ثم إن الأستاذ رأى أن يخرج الكتاب أقساماً تبلغ العشرين وأسمى القسم الأول منها بالجزء الأول ، ومن المعلوم أن المؤلف قسم كتابه عند التأليف إلى أربعة أجزاء ، ومسألة التقسيم مسألة اعتبارية ، والدقة تقضى بالمحافظة على اعتبار المؤلف الذى أخرج الكتاب عليه ؛ فكان الأنسب أن يقسم الناشر كل جزء إلى أقسام ، فيقول مثلاً : القسم الأول من الجزء الأول ، والقسم الثانى من الجزء الأول ... وهكذا حتى ينتهى الجزء الأول ، فيبتدئ تقسيما جديداً للجزء الثانى

ونتجاوز هذا إلى صميم الكتاب ، فنقف مع الأستاذ فى تلك المقدمة التى دبجها فى التعريف بمؤلف الكتاب ، فنجده قد جاء بأشياء ذكرها المقرى نفسه فى المقدمة التى كتبها عن سفراته ورحلاته ، والباعث له على تأليف الكتاب . ومن العجيب أن يقول الأستاذ وهو يسرد مؤلفات المقرى : ومن مؤلفاته الشائقة عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب ؛ ثم يقول فى الهامش : ذكر فى كشف الظنون أنه سماه بعد ذلك نفح الطيب ، وهذا لف لاحاجة اليه ، فأن المؤلف قد شرح مسألة التسمية فى المقدمة فقال : « وقد كنت أولاً سميته بعرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب ، ثم وسمته حين ألحقت به أخبار الأندلس بنفح الطيب ... » فكان سبيل الكلام أن يقول الأستاذ : ومن مؤلفاته نفح الطيب ... ولا يثبت اسماً قد ألغاه صاحبه ، ولا ينتدب كشف الظنون لمهمة قد أداها المؤلف عن نفسه ؛ على أنه بعد ذلك قد ذكر الاسم الأول محرفاً كما يتبين ذلك من مقابلته بعبارة المؤلف

وفى (ص ٥٢) قال المقرى من قصيدة طويلة :

أين الذى الهرمان من بنيانه الحاكى اعتزامه

فعلق عليه الشارح بقوله : كشف من الأهرام حتى الآن أربعة !! إلا أن شعراء الماضى يذكرون الهرمين : هرم خوفو وهرم خفرع ، ثم استشهد لذلك بقول أبى الطيب :

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع !

نقول : وشعراء الماضى يذكرون الأهرام بلفظ الجمع وهو كثير فى أشعارهم ، ومن ذلك قول ابن جبارة :

لله أى غريبة وعجيبة فى صنعة الأهرام للألباب
أخفت عن الأسماع قصة أهلها ونضت عن الابداع كل نقاب

وفى (ص ٦١) قال المقرى : « وقد زمت للرحيل القلاص الرواسم » فقال الشارح : الرواسم هى الابل السائرة رسيما قال الشاعر :

متى تقول القلاص الرواسما يدنين أم قاسم وقاسما

وهذا تفسير ناقص فكان عليه أن يبين مرتبة هذا الرسيم من السير ، أهو إلى السرعة أم إلى الريث ، وإنما نبهنا على هذه لأن أمثالها فى الكتاب كثير . ألا تراه يعلق على كلمة — نيسان — بالشرح فيقول . هو شهر رومى ؟

وفى (ص ٧٩) قرأت قول القائل :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ففاضت لروعات الفراق عيون

وقد رأيت كلمة فشرفنا بالفاء ، ولعل من الواضح أنها بالقاف لتكون فى مقابلة (فغربوا) وأحسب هذا الخطأ من تحريف الطابع

وفى (ص ٩٨) قال المقرى : « فكم جبنا من مهامه فيحا ، ومسحنا بالخطا منها أثيراً وصفيحا ... » فقال الأستاذ الشارح : الأثير عند الأقدمين الفلك التاسع ، فهو على تشبيه المهامه بالفلك فى اتساعه ، أو الأثير من أثر السيف وهو فرنده ورونقه وديباجته ولعل هذا أنسب . نقول : أما المبنى على التفسير الأول فخطأ لا يصح ، وأما التفسير الثانى ففيه نظر ؛ تقول اللغة : أثْر السيف بوزن الأمر فرنده ؛ وتقول اللغة أيضاً : الصفيح العريض من كل شىء ، فالمقرى يريد أن يقول : إننا جبنا هذه المهامه وسرنا بالعريض منها والدقيق . ومن هنا ترى أن صحة العبارة « ومسحنا بالخطا منها أثراً وصفيحاً . . . »

وفى (ص١٣٩) قال المقرى وهو يتكلم عن دمشق : « وهى المدينة المعمورة البقاع ، بالفضل والرباع » فلم يطمئن الشارح لكلمة الرباع بالباء الموحدة ، وقال : لعلها الرياع بالياء المثناة أى الريع والنماء والزيادة . نقول . واللغة لا تقول الرياع وإنما تقول الريع ، ثم لا شك أنها الرباع بالباء الموحدة جمع رَبْع بمعنى

القوم كما هو إطلاقهم على الحجاز ، فكأن المقرى يريد أن يقول : إنها عامرة بالفضل وبالأقوام ، وهو كما يقولون فى التعبير الحديث (آهلة بالسكان)

وفى (ص ١٥٢) قول القائل فى وصف دمشق أيضاً :

إن تكن جنة الخلود بأرض فدمشق لا يكون سواها (؟)
أو تكن فى السماء فهى عليها قد (أمدت) هواءها وهواها

فقال الشارح : لعلها أمرّت !! نقول ومعنى أمرت أذهبت ولا يصح المعنى على هذا الحدس ، فهى أمدت كما فى الأصل لأن الشاعر يريد أن يقول : إن تكن الجنة بالأرض فهى دمشق ، وإن كانت بالسماء فموضعها فوق دمشق وإنها أمدّتها بهوائها وهواها . . .

وفى (ص ١٦٢) قال الشاعر :

زونق كالحباب يعلو على الما ءولكن تحت الحباب الحباب

والشارح قد قيد الحباب جميعها فى البيت بالضم ، وإنما هى فى الأولى والثانية بالفتح بمعنى الفقاعات التى تعلو سطح الماء ، وقد فطن إلى هذا الخطأ فقيد الكلمة مصححة بالفتح فيما بعد

وفى (ص ١٦٤) قال المقرى : «ولو كان بين الصفا والحجون» وقد رأيت الصفا مضبوطة بكسر الصاد ، وإنما هى بالفتح كما جاءت فى القرآن الكريم

وفى (ص ١٨١) البيتان :

تمتع بالرقاد على (شِمــال) فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع فأنت من الفراق على يقين

فقال الشارح : يجوز أن تكون (شمال) جمع شملة وهى كساء يشتمل به ... وفى حديث على (!؟) قال للأشعث بن قيس : إن أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه ؛ وهى من أحسن الألفاظ وألطفها بلاغة !! وهذا كله شرح فاسد ، فأن المراد بالشمال مقابل اليمين ، إذ المعنى : تمتع بالنوم على جنبك الشمال فى الحياة قبل أن يستمر نومك باليمين فى الموت . ولعل من المعروف أن الأفضل فى دفن الميت أن يوضع على جنبه الأيمن

وفى (ص ٢٠١) قال الشاعر :

أين أيامنا اللواتى تقضت إذ زجرنا للوصل أيمن طير

فقال الأستاذ فى الشرح : زجر الطير من العيافة ثم قال : والعيافة باطلة ، واحتج لذلك بقول الشاعر :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصا
ولا (زجرت) الطير ما الله صانع

وهذا فضول فى الشرح ومثله فى الكتاب كثير ، ثم فى كلمة زجرات تحريف وإنما هى زاجرات

وفى (ص ٢٠٣) قرأت قول ابن الخياط :

فلم أر الطرة حتى جرت دموع عينى (بالمرزيب)

وأنا أحفظها كالمرزيب وهى أصح وأبين . .

وفى (ص ٢٢٠) أثبت المقرى قصيدة للمولى الشاهينى جاء فيها :

وها كها سيارة أعتقت. على جواد كان للبحترى
ورثته منه ولكنما من شاعر وافى الى أشعر
ما للفتى الطائى شوط امرئ يصطاد نسر الجو بالمنسر

وقد علق الأستاذ على البيت الأخير فقال : أظنه يريد بالفتى الطائى أبا تمام وبامرئ امرأ القيس فانظر — وقد نظرنا فرأينا أنه يعنى بالفتى الطائى البحترى الذى ذكره فى البيت الأول ، وأنه يريد بامرئ نفسه على جهة التشبيه بامرئ القيس وهذا هو الذى يقتضيه السياق ، ويتطلبه المعنى

وفى ص (٢٥٧) قال المقرى فى تحديد الأندلس : « وهذه المدينة — يعنى مدينة أربونة — تقابلها مدينة برديل . . . » فقال الأستاذ : لم نعثر فى المعاجم على اسم هذه المدينة ، وقد تكون محرفة عن (برديش) وهى من مدن قرمونية بالأندلس . وليس ثمت تحريف ، فأن برديل هى بردو الآن ، وتقع حيث يقترب البحر المحيط من البحر الشامى ، وهى فى مقابل أربونة ؛ وقد كان القدماء يقسمون الأندلس الى ثلاثة أركان ، ويقولون إن ركنها الثانى يقع بالشرق بين أربونة وبرديل

وفى (٢٧٩) قال وهو يتكلم عن المعادن والأفاويه بالأندلس : « وقد سيق منه — أى العود الهندى — الى خيران الصقلبى صاحب المريّة » والمقرى قد نقل العبارة بنصها عن الاحاطة للسان الدين ، وقد جاء فى الاحاطة اسم صاحب المرية (حيزوان)

ذلك ما أحصيناه فى هذا القسم من الكتاب فى نظرة عجلى ، وربما لو عدنا اليه بالنظرة الفاحصة لعثرنا على ما هو أهم وأجل ، ولعل الله ييسر لنا النظر فى جميع أقسام الكتاب

محمد فهمى عبد اللطيف

العالم المسرحي والسينمائي

بعوث التمثيل

وسياسة إعداد المخرجين

لناقد «الرسالة» الفني

لقد ترك الأستاذ زكي طليمات باعتزاله العمل في الفرقة القومية مكاناً شاغراً وإنه ليصعب على فرقة تضم هذا العدد الكبير من الممثلين أن تسير بمخرج مسرحي واحد، ونحن إذا طالبنا الأستاذ عزيز عيد أن يخرج جميع روايات الموسم فانما نطلب ما ليس في الاستطاعة وما يخرج عن القدرة؛ وهو إن قبل هذه المهمة فانما يظلم نفسه، وتكون النتيجة تعطيل عدد كبير من الممثلين انتظاراً لاعداد رواية بعد أخرى كما هو حاصل اليوم. ثم إن قيام مخرج واحد بهذه المهمة يجعل دراسة الروايات سطحية لكثرة العمل وضيق الوقت؛ وقد يضطر المخرج إلى تأجيل موعد التمثيل في إحدى الروايات حتى يتسع له الوقت لتدريب الممثلين كما حدث في رواية «سافو» في الأسبوع الماضي

ونحن نناشد مدير الفرقة أن ينظر إلى هذه الحال جيداً وأن يقدر الموقف لعله يستطيع أن يوفق الى مَخْرَج. أما نحن فنرى أن من الخير للممثلين أنفسهم وللجمهور وللفرقة أن يعهد صاحب العزة مديرها الى أحد كبار الممثلين الذين لهم من الثقافة وسعة الاطلاع ما يؤهلهم للقيام بمهمة الاخراج ببعض الروايات لاخراجها، وأنا على ثقة من أن في الفرقة من سبق له أن أخرج عشرات الروايات لطلبة المدارس الثانوية الأميرية وغير الأميرية. فهل تحقق الفرقة هذا الرجاء حتى يعود إليها من الخارج من توفدهم من البعوث لدراسة الفن في أوربا!!

وعلى ذكرى البعوث نقول إن خير عمل قامت به لجنة ترقية التمثيل العربي منذ انشاء الفرقة القومية في العام الماضي، هو قرار لجنتها التي عقدت في مساء يوم الخميس الماضي، القاضي بارسال أربعة من الشبان المصريين إلى أوربا لدارسة فن الاخراج والتمثيل: اثنين من الممثلين المعروفين واثنين من الشبان المتعلمين الحائزين على درجات علمية محترمة. وهذه السياسة التي تسير عليها اللجنة جديرة بأن تقابل من كل محب للمسرح بالشكر إذ تهيئ لنا شباناً مثقفين ثقافة مسرحية شاملة، وسوف يدخلون على المسرح المصري كل جديد طريف ويسيرون به إلى الامام خطوات واسعة، وسوف يجد فيهم صغار الممثلين أساتذة وإخواناً يستفيدون منهم كل ما تغيب عنهم معرفته

إن أهم ما يشكو منه المسرح هو عدم وجود المخرج الفنان، فعلى أعضاء البعثة أن يعنوا بدراسة الاخراج أكبر العناية، وأن يخصصوا له الجانب الأكبر من جهودهم فيتفهموا وسائله ونظرياته ويدرسوا الضوء، فمن المحزن أن نبقى حتى اليوم ونحن لا نكاد نفهم ما هو الضوء، وكيف نستخدمه ونستفيد منه، وكيف نستعين به في معاونة الممثلين على التعبير وإبراز عوامل الجمال في الرواية

رواية سافو

كانت الفرقة القومية المصرية قد أعلنت عن تمثيل رواية سافو ابتداء من ٢ ديسمبر الماضي، ولكن اضطرت الفرقة لظروف خاصة إلى تأجيل هذا الموعد إلى يوم الثلاثاء القادم الموافق ٨ ديسمبر، ونحن نرجو أن يقبل الجمهور على هذه الرواية فهي من روائع الأدب المسرحي الفرنسي

فيلم جديد لاستديو مصر : الشيخ شريب الشاى

جرت العادة أن تدعو الشركات الأجنبية ممثلى الصحافة إلى حفلة عرض خاصة لكل فلم جديد تنتجه ، وقد اقتدى استديو مصر بهذه الشركات فدعا النقاد السينمائيين إلى شهود آخر منتجاته « الشيخ شريب الشاى » الذى قام باخراجه لحساب جمعية الشاى الدولية

فالفلم للدعاية وأصحابه هم أصحاب فكرته ، ولكن الاستديو هو الذى قام باعداده وإدارته فنياً ؛ وموضوعه تحبيذ للشاى الجيد ، وحض للناس على تفضيل هذا النوع من الشاى . وبطل الفلم شيخ من الفلاحين له مكانته فى قريته يستيقظ فى الفجر هو وأولاده يطلبون الشاى ويلقون الأغانى فى طلبه ، ونرى الأم تقوم باعداده على الطريقة الصحية . وهنالك مواقف كثيرة فيها تتجلى مضار الشاى الأسود ، ومحاسن الشاى الجيد المصنوع على الطريقة الصحية وأثر هذا الشاى فى الصحة . وقد وفق الأستاذ نيازى مصطفى فى إدارة الفلم فنياً كما وفق يوسف بهجت فى تصميم مناظره ، وكذلك وفق حلمى رفلة فى عمليات التنكر وإبراز الشخصيات مما يتفق وأدوارها فى الفلم ، وأذكر له شخصية الشيخ ، وشخصية الخفير الأبله الذى تدل سحنته على البلاهة حقاً كما كانت سحنة بائع الشاى « المنشوش » بغيضة أيضاً . وإلى مجهود هؤلاء الشبان يعود الأثر الأكبر فى متابعة النقاد لمشاهدة الفلم برضاء وسرور مع أنه كما قلنا فلم دعاية فيه كثير من الترديد والاعادة والتحبيذ للشاى الصحى وشربه ، وفى هذا ما قد يبعث الملل إلى النفس

ويمكننى أن أقول إن نيازى أثبت فى هذا الفلم أنه مدير فنى متمكن من فنه ، فعمله يفوق أى فلم مصرى آخر مما تخرجه الشركات وتستغل به طيبة المصريين

والتمثيل لا بأس به ، وفى مقدمة الجميع كان محمد كامل الذى قام بدور البربرى فله مواقف طريفة ، وابراهيم عمارة فى دور الشيخ شريب الشاى أعطى جوانب طيبة من الشخصية ، ولكنه أهمل جوانب أخرى واهتم بالالقاء أكثر مما اهتم بالتمثيل ولهذا لم يبرز روح الفلاح كاملة . أما الموسيقى فكانت تتنافر وجو الفلم ، وكان من الأفضل أن يميل الملحن فريد غصن إلى الموسيقى البلدية فى أغانى القرية حتى ولو كانت عن الشاى

والفلم فى مجموعه مجهود موفق ، فنرجو للاستديو التوفيق المستمر

التصوير أم الاضاءة

رأى المدير الفنى لفيلم نشيد الأمل

يعمل رجال شركة فلم الشرق بهمة كبيرة لاخراج فلم نشيد الأمل الذى تقوم بالدور الأول فيه الآنسة أم كلثوم ، ويبذل كل من المخرج والمدير الفنى مجهوداً مضنياً ، حتى ينتهى إعداد الفلم قبل يوم ١٠ يناير وهو الموعد المحدد لعرضه فى سينما رويال

جمعنى مجلس بالأستاذ أحمد بدرخان فتحدثنا عن فلم نشيد الأمل وعن الجهود التى يبذلها الجميع لاخراجه فى هيئة تنال رضاء الشعب ، وانتقل بنا الحديث إلى التصوير فقلت له : إن الذين شاهدوا فلم « وداد » لاحظوا أن الآنسة أم كلثوم فى الصور المأخوذة عن قرب Close Up تبدو غير جميلة ، وتضعف شخصيتها كثيراً عما نعرفه عنها ، وتمنيت أن يكون قد عمل على تلافى هذه الغلطة فى فيلم نشيد الأمل . وسألته عما إذا كان قد فكر فى إظهار الآنسة أم كلثوم فى الصور القريبة غير واضحة التفاصيل Flue حتى يمكن تلافى أى عيب . وقد أجاب الأستاذ بدرخان بأنه لو كان قد أشرف على الادارة الفنية فى « وداد » لما ظهرت أمثال هذه الصور التى لفتت الأنظار ، لأنه يعرف كيف يلافى أمثال هذه الأخطاء ، وأنه شخصياً يرى أن الصور غير الواضحة التفاصيل تظهر الوجه بديناً إلى حد ما وإن أدت إلى الغرض المقصود ، وهذه الصور تلائم الممثل النحيف كالأستاذ محمد عبد الوهاب ولكنها لا تلائم الآنسة أم كلثوم ؛ ولهذا يرى أن الاضاءة الفنية تحقق هذه الغاية

وسوف يرى النقاد ورواد فلم نشيد الأمل كيف تظهر الآنسة أم كلثوم هذه المرة ، وسوف يحكمون على إدارة المصريين للأفلام ويقارنون بين ما ينتجون وبين ما أنتج الأجانب الذين استقدمناهم لادارة أفلامنا الشرقية والمصرية (يوسف)

تصويب

جاء فى مقال المسرح المنشور بالعدد الماضى صفحة ١٩٧٩ فى السطر الثانى عشر من العمود الأول : (ذلك الكاتب الألمانى العظيم) والصواب (الكاتب الانسانى)